جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

العلاقة بين الإيمان والعمل عند بعض الفرق الإسلامية

إعداد الدكتور

عبدالسلام إبراهيم السيد شرف الدين

قسم العقيدة والفلسفة - كلية أصول الدين بالمنوفية - مصر

العلاقة بين الإيمان والعمل عند بعض الفرق الإسلامية

عبدالسلام إبراهيم السيد شرف الدين
قسم العقيدة والفلسفة – كلية أصول الدين بالمنوفية – مصر
البريد الاليكتروني: abdelsalamsharaf.adv@azhar.edu.eg

ملخص البحث :

من المسائل التي شكلت محورا للخلاف بين الفرق الإسلامية مسألة الإيمان وحقيقته، وقد تفرع عن هذه المسألة مسألة أخرى لا تقل أهمية عنها ومن ثم ساهمت بشكل أو بآخر في استمرار الخلاف بين الفرق وهي مسألة العمل ومنزلته من الإيمان، وقد تنازعت الفرق وعلى رأسها الخوارج والمرجئة والسلف والأشاعرة أطراف النزاع في هذه المسألة وكان لكل منها رأيها الخاص في العلاقة بينهما، الذي شكلته وصاغته بناء على رأيها في مفهوم الإيمان وحقيقته.

وكان من أهم النقاط التي تمخضت عن البحث في مسألة العلاقة بين العمل والإيمان، أنها تدور بين طرفي نقيض إما إفراط أو تفريط، وقد مثلت فرقة الخوارج جانب الإفراط لأنها أدرجت العمل في مفهوم الإيمان كجزء لا يتجزأ ومن ثم تبنت النظرة التكفيرية لكل من أخل بشرط العمل، ومثلت فرقة المرجئة جانب التفريط، لأنها ألغت العلاقة تماما بين العمل والإيمان وقد ترتب على ذلك فتح الباب على مصراعيه أمام إحداث كبائر الذنوب وكون هذا لا يقدح في إيمان الفرد، ناهيك عما يثيره جانب التفريط هذا من المساواة بين إيمان المؤمنين قاطبة لا فرق في ذلك بين العاصي والطائع.

أما فيما يتعلق ببحث المسألة بين السلف والأشاعرة، فقد تبين وجود التقاء وتقارب بين مذهبي السلف والأشاعرة في علاقة العمل بالإيمان، وأن الخلاف

بينهما خلاف لفظي وأن كلاهما يتفق على كون العمل شرط كمال لا شرط صحة بالنسبة للإيمان، أما الخلاف الحقيقي فهو بين السلف وبين المنتسبين لهم ممن أدرجوا العمل في حقيقة الإيمان كجزء لا يتجزأ يترتب على ضياعه ضياع الكل، ثم عرج البحث على الآثار الخطيرة الناجمة عن تبني نظرية الخوارج في العلاقة بين العمل والإيمان من حيث كونه شرط صحة لا شرط كمال، تتمثل هذه الآثار في التكفير، الذي يعمل على هدم المجتمع.

الكلمات المفتاحية: الإيمان، العلاقة – العمل – الفرق – الصلة – الإسلامية.

The Relationship Between Faith and Work for some Islamic Sects

Abdul Salam Ibrahim Al-Sayed Sharaf Al-Din
Department of Belief and Philosophy, Faculty of Fundamentals of Religion, Monufia, Egypt
E mail: abdelsalamsharaf.adv@azhar.edu.eg

Abstract:

One of the issues that formed a focus of disagreement between the Islamic sects is the issue of faith and its truth, and another issue that is no less important has branched off from this issue and then contributed in one way or another to the continuation of the disagreement between the teams, which is the issue of work and its status in faith. The Ash'ari are the parties to the conflict in this matter, and each of them had its own opinion on the relationship between them, which was formed and formulated based on their opinion on the concept and reality of faith.

One of the most important points that emerged from the research on the issue of the relationship between action and faith was that it revolves between two opposing sides, either excess or negligence, and the Kharijites group represented the aspect of excess because it included work in the concept of faith as an integral part and then adopted the faithless view for everyone who violated the working condition The Marjiya group represented the aspect of negligence, because it completely abolished the relationship between action and faith, and this resulted in the opening of the door wide open for the infliction of major sins and the fact that this does not undermine the faith of the individual, not to mention what this negligence aspect raises from the equality between the faith of all believers. There is no difference in that. Between the disobedient and the obedient.

As for the discussion of the issue between the predecessors and the Ash'ari, it has been shown that there is a convergence between the doctrines of the ancestors and the Ash'ari in the relationship of work with faith, and that the difference between them is a verbal disagreement and that both of them agree on the fact that the work is a condition of perfection and not a condition of validity in relation to faith, and the real disagreement is between the predecessors and the associates. They include those who included work in the truth of faith as an integral part that results in the loss of the whole, and then the research halted on the dangerous effects resulting from the adoption of the theory of the Kharijites in the relationship between work and faith in terms of it being a condition of validity rather than a condition of perfection, these effects are represented in the atonement, which works on demolish society.

Keywords: Faith – Relationship - Work – Sects - Relevance, Islamic.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد الذي قرّب أحبابه من بساط أفعاله، ولقاهم السرور بيمين إقباله، وأحيا قلوبهم بشهود جماله، وعاملهم بجزيل نواله، فهم في جنة عاجلة عاطرة، ونور قلوب المؤمنين بالإيمان، وخلع عليهم خلع الرضوان، ووعدهم دار الأمان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبدالله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، الرحمة المهداه، والنعمة المسداه، أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين.

وبعد،،

فمن المفاهيم التي ساهمت بشكل أو بآخر في اتساع هوة الخلاف بين الفرق الإسلامية، مفهوم الإيمان ذلك لأن الخلاف في هذا المفهوم ليس هو الخلاف في تحديد المعنى المراد من اللفظ أو ما يدل عليه اللفظ من المعنى، لأن الأمر لو كان كذلك لم يكن ثمة خلاف من الأساس، بيد أن الخلاف الواقع بين الفرق في مفهوم الإيمان تعدى المعنى إلى ما تختص به جوارح الإنسان من العمل، وأصبح الخلاف دائرا حول حقيقة العلاقة بين الإيمان والعمل، وهل العمل مكونا رئيسا من مكونات الإيمان بحث لو اختل هذا الركن انهار صرح الإيمان، أم الأمر على غير ذلك من أن العمل ليس داخلا في ماهية الإيمان بل هو مكمل من مكملات الإيمان بحيث لو اختل لا يؤثر ذلك في حقيقة الإيمان ومن ثم لا تفتقد حقيقته عند من قصر في آداء العمل، وعليه فإن الفرق التي أدلت بدلوها

في هذا الشأن قد اختلفت آراؤهم وتباينت وجهات نظرهم في بيان حقيقة الإيمان ومنزلة العمل منه.

وأحب أن أشير إلى أن دخول العمل في حقيقة الإيمان أو خروجه عن حقيقته وإدراج ذلك في جوهر المسألة محل الخلاف، ساهم بشكل كبير في أن يأخذ الخلاف بين الفرق المختلفة منحنى صعبا أدى إلى تبادل الاتهامات بينهم إما بالإفراط وإما بالتفريط، الأمر الذي يصل ببعضهم أحيانا إلى إطلاق صيحات التكفير، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن مكمن الخطورة يتمثل في أن بعض المنتسبين لفظا ومظهرا إلى أهل السنة يسارعون إلى التكفير ظنا منهم بأن هذا ما كان عليه السلف، مستندهم في هذا بعض أقوال للسلف يوهم ظاهرها أن العلاقة بين الإيمان والعمل علاقة تلازمية ترابطية بحيث إذا ضاع أحدهما ضاع الآخر، فهم يلجؤون إلى هذه الأقوال غير واعيين بحقيقتها الجوهرية ومضامينها الأصيلة، وهم يتخذون من هذه الأقوال تكأة لتكفير كل من يخالفهم في المذهب والمنهج، ولا شك أن المسارعة إلى التكفير ليس منهجا للسلف ولا مذهبا.

وعند الوقوف أمام كل فرقة من الفرق التي أدلت بدلوها في هذا المسألة – مفهوم الإيمان – سنجد أن السادة الأشاعرة قد التزموا قولا وسطا في هذه المسألة وهذا نابع من منهجهم الرئيس الذي يمثل المنهج الوسط بين مناهج الفرق الإسلامية.

لكن إذا كان الأشاعرة قد اتخذوا موقفا وسطا في مسألة الإيمان وعلاقة العمل به، فهنالك أسئلة كثيرة تطرح نفسها وقد كانت هذه الأسئلة تمثل إشكاليات البحث.

الإشكاليات:

- ما هو موقف الفرق الأخرى من المسألة حتى نتيقن وسطية المذهب الأشعري؟
- ما هو موقف السلف من حقيقة الإيمان؟ وهل يمثل العمل عندهم ركنا من أركانه أم شرط كمال له؟
- هل التزم الأشاعرة منذ عهد أبي الحسن الأشعري حتى متأخريهم قولا واحدا في المسألة؟
- ما الذي جعل رأي الأشاعرة في مفهوم الإيمان دون غيره من آراء جميع الفرق التي أدلت بآرائها في المسألة هو المذهب الوسط؟
- هل بين الأشاعرة والسلف في مفهوم الإيمان وعلاقة العمل به قاسما مشتركا بحيث يمسي الخلاف بينهما لفظيا لا غير؟ أم أن الهوة بينهما واسعة والخلاف جوهريا؟

منهج البحث:

استخدمت في هذا البحث عدة مناهج كانت كالتالي:

أولاً: المنهج التاريخي (الاسترادادي) ومن خلاله استقصيت آراء الفرق الوارد ذكرها في البحث ووثقتها من مصادرها الأصيلة قدر المستطاع.

ثانياً: المنهج التحليلي ومن خلاله قمت على تحليل النصوص واستخراج معانيها كلما تطلب الأمر ذلك.

ثالثاً: المنهج المقارن ومن خلاله قمت بالموازنة بين آراء الفرق في المسألة محل البحث حتى أستطيع الوقوف على الرأي الذي هو أقرب إلى وسطية الإسلام.

رابعاً: المنهج النقدي ومن خلاله قمت بتوجيه بعض الانتقادات والاعتراضات على بعض الآراء التي رأيتها أقرب إلى الغلو والتشدد منها إلى وسطية الإسلام.

خطة البحث:

انتظم هذا البحث على خطة كانت على النحو التالي:

- **المقدمة:** وقد اشتملت على أهمية الموضوع، وإشكاليات الدراسة، ومنهج الباحث، وخطة البحث.
- **التمهيد:** الإيمان والإسلام لغويا واصطلاحيا.
- **المبحث الأول:** الاتجاهات في بيان علاقة الإيمان بالإسلام.
- **المبحث الثاني:** رأي بعض الفرق من غير الأشاعرة في مفهوم الإيمان.
- **المبحث الثالث:** رأي الأشاعرة في مفهوم الإيمان.
- **المبحث الرابع:** آثار التلازم بين الإيمان والعمل.

وقد أتبعت هذه المباحث بعدد من النتائج ذكرتها في خاتمة البحث مشفوعة بثبت المصادر والمراجع.

والله من وراء القصد، وهو نعم المولى ونعم النصير

التَّمهيد

الإيمان والإسلام لغويا واصطلاحيا

أولا: بيان معناهما من الناحية اللغوية:

(أولا: الإيمان)

في بيان لفظة الإيمان من الناحية اللغوية قال: صاحب معجم مقاييس اللغة "(أمن) الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب، والآخر التصديق، والمعنيان كما قلنا متدانيان"(١).

من خلال استعراض المعنى اللغوي للكلمة استرشادا بهذا النص، نرى أنها ترجع إلى أصلين متقاربين هما: الأمانة، التصديق، ونلحظ أيضا التقارب في المعنى بين هاتين الكلمتين كما أشار إلى ذلك ابن فارس وذلك حين رجع معنى الأمانة إلى سكون القلب، وسكت عن بيان معنى التصديق لأن المسكوت عنه حينئذ هو أمر معلوم إذ إن التصديق هو الآخر يعني سكون القلب، وهذا هو المعنى المراد من قوله: والمعنيان كما قلنا متدانيان

وقد شرح ابن فارس الأصل الثاني الذي تدور عليه كلمة الإيمان وهو التصديق بقوله: "وأمّا التّصديق فقول الله تعالى: **{وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا}** [يوسف ١٧] أي مصدِّقٍ لنا، وقال بعض أهل العلم: إن "المؤمن" في صفات الله تعالى هو أن يَصْدق ما وَعَدَ عبدَه من الثّواب، وقال آخرون: هو مؤمنٌ لأوليائه يؤْمِنُهم عذابَه ولا يظلمهم، فهذا قد عاد إلى المعنى الأول"(٢) ويلاحظ هنا أيضا

---

(١) معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، جـ١، صـ١٣٣، طـ: دار الفكر، طـ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، جـ١، صـ١٣٥.

أن ابن فارس وإن كان يشرح الأصل الثاني للإيمان وهو التصديق إلا أنه رجع معناه إلى الأصل الأول وهو سكون القلب، الأمر الذي يؤكد قوله: والمعنيان كما قلنا متدانيان.

وقال صاحب تهذيب اللغة: "وأما الإيمان: فهو مصدر آمن إيمانا، فهو مؤمن. واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق. قال الله تعالى: **{قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا}** [الحجرات: ١٤] "وَهَذَا مَوضِع يَحتاج النَّاس إِلَى تفهّمه، وَأَيْنَ يَنْفصل المُؤمن من المُسلم، وَأَيْنَ يستويان؟"(١).

وهناك معنى آخر تدور عليه كلمة الإيمان وهو الأمن ضد الخوف، وقد أشار الأصفهاني إلى هذا المعنى فقال: "أصل الأَمْن: طمأنينة النفس وزوال الخوف.. وآمَنَ: إنما يقال على وجهين: أحدهما متعديا بنفسه، يقال: آمنته، أي: جعلت له الأمن، ومنه قيل لله: مؤمن"(٢).

وقد أشار ابن الأثير إلى المعنيين السابقين (الأمن ضد الخوف – التصديق) فقال: "في أسماء الله تعالى: «المؤمن" هو الذي يصدق عباده وعده: فهو من الإيمان: التصديق، أو يؤمنهم في القيامة من عذابه، فهو من الأمان، والأمن ضد الخوف"(٣).

---

(١) تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، جـ١٥، صـ٣٦٨، ٣٦٩، طـ: دار إحياء التراث العربي – بيروت، طـ الأولى سنة ٢٠٠١م.

(٢) المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي، صـ٩٠، ٩١، طـ: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، طـ الأولى سنة ١٤١٢هـ.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) تحقيق:=

وبناء على ذلك فإن المعنى اللغوي لكلمة الإيمان يدور على ثلاثة معاني: الأمانة ضد الخيانة –الأمن ضد الخوف – التصديق.

(ثانيا: الإسلام)

في شرح لفظة الإسلام من الناحية اللغوية قال صاحب اللسان: "والإِسْلامُ والاسْتِسْلامُ: الِانْقِيَادُ ... وأما الإسلام فإن أبا بكر محمد بن بشار قال: يقال فلان مسلم وفيه قولان: أحدهما هو المستسلم لأمر الله، والثاني هو المخلص لله العبادة، من قولهم سلم الشيء لفلان أي خلصه، وسلم له الشيء أي خلص له"(١).

وبناءً على ذلك نرى أن المعنى اللغوي لكلمة الإسلام يدور على ثلاثة معاني: الاستسلام أو التسليم – الانقياد والخضوع – الإخلاص.

ثانيا: بيان معناهما من الناحية الاصطلاحية:

(الإيمان، الإسلام)

انطلاقا من البيان اللغوي لكلمتي الإيمان والإسلام نستطيع أن نستنتج المعنى الاصطلاحي لكل منهما بيسر وسهولة لاسيما إذا استئنسنا بحديث الباب في هذه المسألة، أعني حديث جبريل (عليه السلام) وفيه جاء يسأل النبي (ﷺ) عن ثلاث مقامات، مقام الإيمان، مقام الإسلام، مقام الإحسان.

=طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، جـ١، صـ٦٩، طـ: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

(١) لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) جـ١٢، صـ٢٩٣ بتصرف بسيط، طـ: دار صادر – بيروت، طـ الثالثة سنة ١٤١٤هـ.

أخرج الإمام أحمد في مسنده بسنده عن عمر بن الخطاب (ﷺ) قَالَ: "بَيْنَمَا نَحْنُ ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَ نَبِيِّ اللهِ (ﷺ) إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى – قَالَ يَزِيدُ: لَا نَرَى – عَلَيْهِ أَثَرَ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى نَبِيِّ اللهِ (ﷺ)، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلامِ، مَا الْإِسْلامُ؟ فَقَالَ: الْإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ يَزِيدُ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ بِهَا مِنَ السَّائِلِ "قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: "أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبِنَاءِ، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، قَالَ: فَلَبِثْتُ مَلِيًّا – قَالَ يَزِيدُ: ثَلاثًا – فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ): يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ"(١).

يدلنا هذا البيان النبوي على أن كلمة الإسلام من الناحية الاصطلاحية تطلق ويراد بها: إقامة الأعمال الظاهرة وهي الأركان الخمسة المعروفة الشهادتين، إقام الصلاة، إيتاء الزكاة، صوم رمضان، حج البيت.

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، جـ١، صـ٣١٨، طـ: دار الحديث – القاهرة، طـ الأولى سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

وقد أشار العز بن عبدالسلام إلى هذا المعنى حين قال: "وقد استعمله الشرع في الانقياد إلى كثير من الطاعات، كالانقياد إلى الدعائم الخمس في حديث جبريل، وكقوله: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"(١)،(٢).

أما كلمة الإيمان فتطلق ويراد بها: إقامة الأعمال الباطنة التي يختص بها القلب من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره، يقول العز بن عبدالسلام: "الإيمان عبارة عن تصديق القلب حقيقة"(٣).

وأحب أن أشير إلى أن المعاني المستفادة لكلمتي الإيمان والإسلام من حديث جبريل (عليه السلام) تتوافق تماما مع المعاني المستفادة للكلمتين من الناحية اللغوية، ودليل ذلك ما أشار ابن منظور إليه في سياق حديثه اللغوي عنهما فقال:

---

(١) معنى الإيمان والإسلام أو الفرق بين الإيمان والإسلام: عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي (المتوفى سنة ٦٦٠هـ) تحقيق: إياد خالد الطباع، صـ١٧،١٨، طـ: دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سورية، طـ الأولى سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢) انظر لفظ الحديث في: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق، جـ١، صـ١١، كتاب: الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، طـ: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) طـ الأولى سنة ١٤٢٢هـ، وأخرجه مرة أخرى في كتاب: الرقائق، باب: الانتهاء عن المعاصي، جـ٨، صـ١٠٢.

(٣) معنى الإيمان والإسلام: العز بن عبدالسلام، صـ٩.

"والإِسْلامُ مِنَ الشَّرِيعَةِ: إِظهار الْخُضُوعِ وإِظهار الشَّرِيعَةِ وَالْتِزَامُ مَا أَتى بِهِ النَّبِيُّ، (ﷺ) وبِذَلِكَ يُحْقَنُ الدَّمُ ويُسْتَدْفَعُ الْمَكْرُوهُ، وَمَا أَحسن مَا اخْتَصَرَ ثَعْلَبٌ ذَلِكَ فَقَالَ: الإِسْلامُ بِاللِّسَانِ والإِيمان بِالْقَلْبِ"(١).

(١) لسان العرب: ابن منظور، جـ١٢، صـ٢٩٣.

المبحث الأول
الاتجاهات في بيان علاقة الإيمان بالإسلام

المتتبع لهاتين اللفظتين – الإيمان و الإسلام – في كتاب الله (ﷻ) يجد أنهما في بعض المواضع قد وردتا بمعنى واحد، وفي بعضها الآخر قد وردت كل واحدة منهما بمعنى يغاير المعنى الذي جاءت به اللفظة الأخرى، وآيات أخرى جاءت فيها كل لفظة منهما بما تدل عليه الأخرى، وهذا يعني أن هناك ثلاثة اتجاهات فيما يخص تحديد معنى الإيمان والإسلام.

الاتجاه الأول: (الترادف)

هناك آيات في القرآن الكريم اجتمع فيها لفظ الإيمان والإسلام وعند التحقيق تجد أن معناهما مترادفا، من هذا القبيل قوله تعالى: {**فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**} [الذاريات: ٣٥، ٣٦] ففي هذه الآية ترى أن الإيمان والإسلام قد اجتمعا لفظا واجتمعا معنى، فهما اسمان لمعنى واحد.

وقد ذهب إلى هذا الرأي بعض العلماء، منهم أبوالمظفر السمعاني الذي قال في تفسير هذه الآية "فيه دليل لمن قال: إن الإسلام والإيمان واحد"(١)، ومنهم تاج القراء اللغوي برهان الدين الكرماني، الذي قال في تفسر هذه الآية الكريمة

(١) تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، جـ٥، صـ٢٥٨، طـ: دار الوطن، الرياض – السعودية، طـ الأولى سنة ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

"قوله: **(مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)** وبعده **(مِنَ الْمُسْلِمِينَ)** دليل على أن الإسلام والإيمان واحد"(١).

ومن هؤلاء أيضا الإمام الماتريدي الذي ذهب إلى القول بترادف الإيمان والإسلام وأنهما شيء واحد غير أنه استدل بآيات أخر، فقد قال في تفسير قوله تعالى: **{وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ}** [التوبة: ٧٤] ما نصه "وفي الآية دلالة أن الإسلام والإيمان واحد؛ لأنه قال: **(وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ)** وقال في آية أخرى: **(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ)**، ثم قال: **(كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ)**، وقال في آية أخرى: **(كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا)**؛ فدل أن الإسلام والإيمان واحد"(٢).

وممن ذهب إلى هذا الاتجاه، إمام المحدثين الإمام البخاري (رضي الله عنه)، وقد عزاه إليه بدر الدين العيني، في شرحه لصحيح البخاري حين قال: "البُخَارِيّ اسْتدلَّ بهَا(٣) على أَن الْإِسْلَام الْحَقِيقِيّ هُوَ الدّين، لِأَنَّهُ تَعَالَى أخبر أَن الدّين هُوَ الإسلام، فَلَو كَانَ غير الْإِسْلَام لما كَانَ مَقْبُولًا، وَاسْتدلَّ بهَا أَيْضا على أَن الْإِسْلَام والإيمان وَاحِد، وأنهما مُتَرَادِفَانِ"(٤).

---

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ)، جـ٢، صـ١١٤٤، طـ: دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت، بدون تاريخ.

(٢) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) تحقيق: د. مجدي باسلوم، جـ٥، صـ٤٣٠، طـ: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، طـ الأولى سنة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٣) أي بقوله تعالى: **{إن الدّين عِنْد الله الإسلام}** [آل عمرَان: ١٩].

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، جـ١، صـ١٩١، طـ: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.

وقد أكد بدر الدين العيني في موضع آخر من كتابه على ترادف الإيمان والإسلام وأنهما مسميان لشيء واحد، وذلك حين أراد أن يوفق بين قوله تعالى: {**وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**} [المائدة: ٣] وبين حديث جبريل الذي يدور حول الإيمان والإسلام والإحسان(١)، فقال: "والحاصل أن الدين تارة يطلق على الثلاثة التي سأل عنها جبريل، (عليه السلام). وتارة يطلق على الإسلام كما في قوله تعالى: {**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**} وهذا يمنع قول من يقول: بين الآية والحديث معارضة حيث أطلق الدين في الحديث على ثلاثة أشياء، وفي الآية على شيء واحد، واختلاف الإطلاق إما بالاشتراك أو بالحقيقة أو المجاز أو بالتواطيء، ففي الحديث أطلق على مجموع الثلاثة وهو أحد مدلوليه، وفي الآية أطلق على الإسلام وحده، وهو مسماه الآخر. فإن قلت: لم قال. بالإسلام، ولم يقل: بالإيمان؟ قلت: الإسلام والإيمان واحد"(٢).

وممن ذهب إلى الاتجاه القائل بالترادف بين الإيمان والإسلام من الفقهاء، أبوحنيفة (رضي الله عنه)، فقد ذكر ابن عبدالبر في التمهيد أنه روى "عن حماد بن زيد قال كنت بمكة مع أبي حنيفة فجاءه رجل فسأله عن الإيمان وعن الإسلام فقال الإسلام والإيمان واحد فقلت له يا أبا حنيفة حدثنا أيوب عن أبي قلابة وذكره قال أبو عمر أكثر أصحاب مالك على أن الإسلام والإيمان شيء واحد ذكر ذلك

---

(١) انظر لفظه في: صحيح البخاري: جـ١، صـ١٩، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة.

(٢) عمدة القاري: بدر الدين العيني، جـ٢، صـ١١٥.

ابن بكير في الأحكام واحتج بقول الله (ﷻ) فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين أي غير بيت منهم"(١).

وفي موضع آخر ينسب ابن عبدالبر هذا الاتجاه إلى أهل الفقه والنظر فيقول: "الذي عليه جماعة أهل الفقه والنظر أن الإيمان والإسلام سواء بدليل ما ذكرنا من كتاب الله (ﷻ) قوله فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين"(٢).

وقد نسب اتجاه الترادف بين الإيمان والإسلام إلى جمهور أهل السنة وأصحاب الحديث، محمد بن نصر المروزي، حيث قال: "وقالت طائفة ثالثة وهم الجمهور الأعظم من أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث: الإيمان الذي دعا الله العباد إليه، وافترضه عليهم هو الإسلام الذي جعله دينا"(٣).

الاتجاه الثاني: (التغاير)

عند النظر في مصدري التشريع قرآنا وسنة، نجد أن بعض الآيات في القرآن الكريم، وبعض الأحاديث النبوية قد اجتمع فيهما لفظ الإيمان والإسلام غير أن المعنى لم يأت مترادفا بل جاء متغايرا، فانصرف معنى الإيمان إلى

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، جـ٩، صـ٢٤٧، طـ: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، طـ سنة ١٣٨٧هـ.

(٢) التمهيد: ابن عبدالبر، جـ٩، صـ٢٥٠.

(٣) تعظيم قدر الصلاة: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: ٢٩٤هـ) تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، جـ٢، صـ٥٢٩، طـ مكتبة الدار – المدينة المنورة، طـ الأولى سنة ١٤٠٦هـ.

الأعمال الباطنة وانصرف معنى الإسلام إلى الأعمال الظاهرة، نستعرض من آيات القرآن الكريم في هذا الاتجاه قوله تعالى: **{قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ}** [الحجرات:١٤].

وقد نسب هذا الاتجاه إلى كثير من أهل السنة والسلف وبه قالوا، فقد أورد ابن رجب تحت قوله تعالى: **{قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ}** [الحجرات: ١٤] ما نصه "وأما من يفرق بين الإسلام والإيمان فإنه يستدل بهذه الآية على الفرق بينهما ويقول: نفي الإيمان عنهم لا يلزم منه نفي الإسلام كما نفي الإيمان عن الزاني والسارق والشارب وإن كان الإسلام عنهم غير منفي. وقد ورد هذا المعنى في الآية عن ابن عباس، وقتادة، والنخعي، وروي عن ابن زيد معناه – أيضا – وهو قول الزهري، وحماد بن زيد، وأحمد، ورجحه ابن جرير وغيره، واستدلوا به على التفريق بين الإسلام والإيمان، وكذا قال قتادة في هذه الآية قال: قولوا أسلمنا: شهادة أن لا إله إلا الله، وهو دين الله، والإسلام درجة الإيمان تحقيق في القلب والهجرة في الإيمان درجة، والجهاد درجة، والقتل في سبيل الله درجة"(١).

و في موضع آخر أكد ابن رجب نسبة هذا الاتجاه إلى كثير من السلف فقال: "وأما من فرق بين الإسلام والإيمان – وهم أكثر العلماء من السلف ومن بعدهم – حتى قيل: إنه لا يعلم عن السلف في ذلك خلاف"(٢).

---

(١) فتح الباري: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، جـ١، صـ١١٧، طـ: دار ابن الجوزي، السعودية – الدمام، طـ الثانية سنة ١٤٢٢هـ.

(٢) فتح الباري: ابن رجب، جـ١، صـ١٨٩.

وكما استعرضنا آية من كتاب الله في هذا الاتجاه، فلا بد من استعراض نص من السنة النبوية تدل على هذا الاتجاه أيضا، وإن العمدة في هذا الباب حديث جبريل (عليه السلام)، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه قال: "بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ)، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ (ﷺ)، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ "قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»(١).

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ): مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، جـ١، صـ٣٦، كتاب: الإيمان، باب: معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ، طـ: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.

واستشهادا بهذا الحديث ودلالته على اتجاه التغاير بين الإيمان والإسلام بحيث يدل الإسلام على الأعمال الظاهرة بينما يدل الإيمان على الاعتقادات الباطنة، يقول البغوي: "جعل النبي (ﷺ) في هذا الحديث الإسلام اسما لما ظهر من الأعمال، وجعل الإيمان اسما لما بطن من الاعتقاد"(١).

وقد جمع ابن كثير بين الآية والحديث السالف ذكرهما تحت اتجاه التغاير، كدليل على القول بالتفريق بين الإيمان والإسلام فقال: "استفيد من هذه الآية الكريمة: أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويدل عليه حديث جبريل، (عليه السلام)، حين سأل عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم إلى الأخص، ثم للأخص منه"(٢).

الاتجاه الثالث: (تبادل المعنى)

في مقابل هذين الاتجاهين بالنسبة لورود معنى الإيمان والإسلام في كتاب الله تعالى، هناك اتجاه ثالث يقف عليه من استقصى آيات القرآن الكريم، هذا الاتجاه يجمع بين المعنيين السابقين للإيمان والإسلام وهو أشبه ما يكون بتبادل الأدوار لكنه هنا في المعنى، يأتي الإيمان أحيانا بالمعنى الذي يدل عليه

---

(١) شرح السنة: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش، جـ١، صـ١٠، طـ: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، طـ الثانية سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٢) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، جـ٧، صـ٣٦٣، طـ: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، طـ الأولى سنة ١٤١٩هـ.

الإسلام، وكذلك الإسلام يأتي بالمعنى الذي يدل عليه الإيمان، فإذا كان الإسلام يدل على أعمال الظاهر والإيمان يدل على أعمال الباطن، فقد جاءت آيات كريمة تحدثت عن الإيمان بما يفيد الأعمال الظاهرة، وآيات أخرى تحدثت عن الإسلام بما يفيد الأعمال الباطنة، من هذا القبيل قوله تعالى: **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}** [البقرة: ١٤٣].

هنا تحدثت الآية الكريمة عن الإيمان لكن ليس بمعناه الباطن إنما بمعناه الظاهر، والمعنى كما قال ابن كثير "وَما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ أَيْ صَلَاتُكُمْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَبْلَ ذلك ما كان يَضِيعُ ثَوَابُهَا عِنْدَ اللَّهِ"(١)، وروى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة (ﷺ) أنه قال: "الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ"(٢).

وهذا الاتجاه – تبادل المعنى – بين لفظي الإيمان والإسلام تلخصه العبارة: إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، وقد أشار إلى ذلك شارح العقيدة الطحاوية قياسا على لفظي الفقير والمسكين فقال: "الإسلام والإيمان: إذا قرن أحدهما بالآخر، كما في قوله تعالى {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} وقوله (ﷺ) (اللهم لك أسلمت وبك آمنت)(٣) كان المراد من أحدهما غير المراد

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، جـ١، صـ٣٢٩.

(٢) صحيح مسلم: جـ١، صـ٦٣، كتاب: الإيمان، باب: شعب الإيمان.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في مواضع منها، جـ٢، صـ٤٨، كتاب: التهجد، باب: التهجد بالليل، جـ٨، صـ٧٠، كتاب: الدعوات، باب: الدعاء إذا انتبه بالليل، جـ٩، صـ١١٧، كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى: وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق.

من الآخر، وكما قال (ﷺ) (الإسلام علانية، والإيمان في القلب)([1]) وإذا انفرد أحدهما شمل معنى الآخر وحكمه، وكما في الفقير والمسكين ونظائره، فإن لفظي الفقير والمسكين إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا"([2]).

وممن دلل على هذا الاتجاه بين لفظي الإيمان والإسلام قياسا أيضا على لفظي الفقير والمسكين، ابن رجب حيث قال: "من الأسماء ما يكون شاملا لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره، صار دالا على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دال على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكين، فإذا أفرد أحدهما، دخل فيه كل من هو محتاج، فإذا قرن أحدهما بالآخر، دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات، والآخر على باقيها، فهكذا اسم الإسلام والإيمان: إذا أفرد أحدهما، دخل فيه الآخر ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما، دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده، ودل الآخر على الباقي"([3]).

---

(١) مسند أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، جـ٥، صـ٣٠١، طـ: دار المأمون للتراث – دمشق، طـ الأولى سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(٢) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، صـ٢٢٥، طـ: وكالة الطباعة والترجمة في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد– بدون تاريخ.

(٣) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، جـ١، صـ١٠٥،١٠٦، طـ: مؤسسة الرسالة – بيروت، طـ السابعة سنة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

وفي موضع آخر يشير ابن رجب أن تبادل المعنى بين لفظي الإيمان والإسلام قال به جماعة من الأئمة، وقد أورد منهم أبابكر الإسماعيلي، والخطابي، فقال: "وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة. قال أبو بكر الإسماعيلي في رسالته إلى أهل الجبل: قال كثير من أهل السنة والجماعة: إن الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل ما فرض على الإنسان أن يفعله إذا ذكر كل اسم على حدته مضموما إلى آخر فقيل: المؤمنون والمسلمون جميعا مفردين، أريد بأحدهما معنى لم يرد بالآخر، وإذا ذكر أحد الاسمين، شمل الكل وعمهم، وقد ذكر هذا المعنى أيضا الخطابي في كتابه معالم السنن، وتبعه عليه جماعة من العلماء من بعده"(١).

وإذا كان ابن رجب قد أشار في النص السابق أن الخطابي من العلماء الذين قالوا بتبادل المعنى بين لفظي الإيمان والإسلام وأنه ذكر ذلك في كتابه معالم السنن، فإنا نضيف إلى ذلك أن الخطابي أشار إلى هذا الاتجاه في مؤلفه أعلام الحديث فقال: "الإيمان والإسلام قد يجتمعان في مواضع، فيقال للمسلم: مؤمن وللمؤمن: مسلم، ويفترقان في مواضع، فلا يقال لكل مسلم مؤمن ويقال لكل مؤمن: مسلم، فالموضع الذي يتفقان فيه هو أن يستوي الظاهر والباطن، والموضع الذي لا يتفقان فيه أن لا يستويا، ويقال له عند ذلك: مسلم"(٢).

---

(١) جامع العلوم والحكم: ابن رجب، جـ١، جـ١، صـ١٠٦.

(٢) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري): أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ) تحقيق: د.محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جـ١، صـ١٦٠، طـ: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي) طـ الأولى سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨م.

وممن قال بهذا الاتجاه، السفاريني، وقد نزع منزع سابقيه من حيث القياس على لفظي الفقير والمسكين، جاء في لوامعه "فالإيمان والإسلام كاسم الفقير والمسكين إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، وإذا قرن بينهما احتاج كل واحد منهما إلى تعريف يخصه"(١).

من خلال الاتجاهات السابقة التي أسلفنا الحديث عنها نستطيع أن نقول أن هناك بعض الفرق تبنت اتجاها معينا في مفهوم الإيمان وهو الاتجاه الذي يساعدها في إقرار العلاقة التي ترتضيها بين الإيمان والعمل(٢).

وإذا كان الأمر كذلك فإننا نستطيع أن نؤكد أن الفرق التي تبنت العلاقة التلازمية بين العمل والإيمان يناسبها من الاتجاهات الاتجاه الأول وهو اتجاه الترادف الذي يقرر أن الإيمان والإسلام معناهما واحد لا انفصام بينهما، يأتي على رأس هذه الفرق الخوارج ومعهم المعتزلة(٣)، فهؤلاء كان بينهم اتفاق على

---

(١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، جـ١، صـ٤٣٠، طـ: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، طـ الثانية سنة ١٤٠٢ هـ /١٩٨٢م.

(٢) وقد ارتضينا على أساس من هذا التصنيف أن نوصف الفرق بين الفرق على حسب قولهم بترادف أو تغاير الإيمان والإسلام من ناحية الإطلاق والمسمى.

(٣) وقد اشار القاضي عبدالجبار إلى هذا الاتجاه عند المعتزلة فقال " إن قولنا مؤمن من الأسماء التي نقلت من اللغة إلى الشرع وصار بالشرع اسما لمن يستحق المدح والتعظيم، وكما أن قولنا مؤمن جعل بالشرع اسما لمن يستحق التعظيم والإجلال، فكذلك قولنا مسلم جعل بالشرع اسما لمن يستحق المدح والتعظيم حتى لا فرق بينهما إلا من جهة اللفظ " شرح الأصول الخمسة : قاضي القضاة/ عبدالجبار بن أحمد (ت: ٤١٥هـ) تصدير: د.أحمد فؤاد الأهواني، تعليق: الإمام/أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، حققه وقدم له ك د.عبدالكريم عثمان، صـ٧٠٥، طـ: مكتبة وهبة – القاهرة، طـ الثالثة سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

الترادف في معنى الإيمان والإسلام، وكذلك كان الاتفاق حاضرا بينهم في إقرار العلاقة التلازمية بين الإيمان والعمل، من حيث إن الإيمان بجميع أجزائه من التصديق أو المعرفة والإقرار شيئا واحد إذا ذهب بعضه ذهب كله.

أما غيرهم من فرق أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية والمحدثين والفقهاء فقد كانوا على العكس من سابقيهم من الخوارج والمعتزلة فقد كان لهم في الأخذ بهذه الاتجاهات موقفان:

الأول: تبني اتجاه الترادف أي أن الإسلام والإيمان مسميان لشيء واحد.

وهذا هو مذهب الجمهور من الأشاعرة كما نص على ذلك الإمام السعد في مقاصده حين قال: "الجمهور على أن الإيمان والإسلام واحد إذ معنى آمنت بما جاء به النبي (ﷺ): صدقته، ومعنى أسلمت له: سلمته، ولا يظهر بينهما كثير فرق لرجوعهما إلى معنى الاعتراف والانقياد والإذعان والقبول"(١).

وقد اتفق جمهور الماتريدية مع الأشاعرة في القول بترادف الإيمان والإسلام وأنهما مسميان لشيء واحد، إذ قال النسفي في تبصرته "الإيمان والإسلام شيء واحد، والأسماء من قبيل الأسماء المترادفة، وكل مؤمن مسلم وكل مسلم مؤمن"(٢).

---

(١) شرح المقاصد: الإمام / مسعود بن عمر بن عبدالله الشهير بسعد الدين التفتازاني ٧١٢هـ – ٧٩٣هـ، تحقيق وتعليق: د. عبدالرحمن عميرة، تصدير: الشيخ: صالح موسى شرف، جـ٥، صـ٢٠٧، طـ: عالم الكتب، بيروت – لبنان، طـ الثانية سنة ١٤٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٢) تبصرة الأدلة في أصول الدين: أبي المعين ميمون بن محمد النسفي الماتريدي ت٥٠٨هـ، تحقيق وتعليق: د. محمد الأنور حامد عيسى، جـ٢، صـ١٠٩٤، طـ: المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة، طـ الأولى سنة٢٠١١م.

وقد تبنى هذا الاتجاه ابن حزم الظاهري الذي قال: "والذي نقول به وبالله تعالى التوفيق أن الإيمان أصله في اللغة التصديق على الصفة التي ذكرنا قبل ثم أوقعه الله (ﷻ) في الشريعة على جميع الطاعات واجتناب المعاصي"(١).

وممن ارتضى هذا الاتجاه من المحدثين والفقهاء: الإمام البخاري ومحمد بن نصر المروزي(٢).

وقد نسب هذا الاتجاه إلى جمهور أهل السنة وغيرهم من الفقهاء والسلف، ابن عبدالبر الذي قال: "وعلى القول بأن الإيمان هو الإسلام جمهور أصحابنا وغيرهم من الشافعيين والمالكيين وهو قول داود وأصحابه وأكثر أهل السنة والنظر المتبعين للسلف والأثر"(٣).

الثاني: تبني اتجاه التغاير أي أن الإسلام والإيمان مسميان لشيئين مختلفين.

وقد تبنى هذا الاتجاه بعض السلف من أهل الحديث والفقهاء، على رأس هؤلاء يأتي الإمام أحمد بن حنبل فقد روى عن ولده صالح أنه قال: "سئل أبي – وأنا شاهد– عن الإيمان والإسلام، فقال: قال ابن أبي ذئب: الإسلام القول، والإيمان العمل، قيل له: ما تقول أنت؟ قال: الإسلام غير الإيمان"(٤) ونسب إليه

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ، ت: ٤٥٦هـ، جـ٣، صـ١٢٦، طـ: مكتبة الخانجي – القاهرة، بدون تاريخ.

(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية: السفاريني، جـ١، صـ٤٢٦،٤٢٧.

(٣) التمهيد: ابن عبدالبر، جـ٩، صـ٢٥٠.

(٤) الجامع لعلوم الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل – العقيدة، تأليف: خالد الرباط، سيد عزت عيد، محمد أحمد عبد التواب، جـ٣، صـ٧٦، طـ: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم – جمهورية مصر العربية، طـ الأولى سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

أبوبكر المروذي أنه "سئل عن الإيمان والإسلام؟ فقال: الإيمان غير الإسلام"([1]).

ومنهم القاضي أبويعلى الذي ذهب إلى أن "الإسلام والإيمان ليسا شيئا واحدا بل الإيمان أعم من الإسلام والإسلام من خصال الإيمان"([2]) وقد نقل عن الإمام أحمد مذهبه السابق فقال: "نص أحمد رحمة الله عليه أنه – أي الإيمان – اسم لمعنيين وأن الإسلام في الشرع عبارة عن الشهادتين مع التصديق بالقلب والإيمان عبارة عن جميع الطاعات"([3]).

وممن ذهب من الأشاعرة إلى القول بتغاير مفهومي الإيمان والإسلام، الباقلاني حيث قال: "والإيمان خصلة من خصال الإسلام، وكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيمانا"([4]).

وأحب أن أشير هنا إلى أن الاختلاف كان حاضرا بين هذه الفرق – من غير الخوارج والمعتزلة – في العلاقة بين الإيمان والإسلام من ناحية الإطلاق والمسمى، بيد أن الاتفاق كان حاضرا بينهم في عدم إقرار العلاقة التلازمية بين العمل والإيمان، من حيث إن الإيمان ليس شيئا واحد فإذا ذهب بعضه لم يذهب كله.

---

(١) الجامع لعلوم الإمام أحمد: جـ٣، صـ٧٩.

(٢) مسائل الإيمان: القاضي أبويعلى، دراسة وتحقيق وتعليق: سعود بن عبدالعزيز الخلف، صـ١٠٠، طـ: دار العاصمة – الرياض، طـ الأولى سنة ١٤١٠هـ.

(٣) مسائل الإيمان: القاضي أبويعلى، صـ٤٢٦، ٤٢٧.

(٤) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣هـ، تحقيق: الشيخ/ عماد الدين أحمد حيدر، صـ٣٩٢، طـ: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، طـ الأولى سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

المبحث الثاني
رأي بعض الفرق من غير الأشاعرة في مفهوم الإيمان

أولا: الخوارج ورأيهم في مفهوم الإيمان

تبنت الخوارج في هذه المسألة رأيا ينبع من عقيدتهم في علاقة الإيمان بالعمل والتي كانوا يرونها علاقة تلازمية لا تنفك، ولعل هذا ينبع من الشدة التي أخذوا أنفسهم بها منذ بدء نشأتهم، بل ربما ظروف النشأة التي أحاطت بها هي التي صبغتهم بصبغة الشدة هذه، يقول الشيخ محمد أبوزهرة: "وهذه الفرقة أشد الفرق الإسلامية دفاعا عن مذهبها، وحماسة لآرائها وأشد الفرق تدينا في جملتها وأشدها تهورا واندفاعا، وهم في دفاعهم وتهورهم مستمسكون بألفاظ قد أخذوا بظواهرها وظنوا هذه الظواهر دينا مقدسا لا يحيد عنه مؤمن"(١).

ويجلي ابن حزم مفهوم الإيمان عند الخوارج فيقول: "ذهب جميع الخوارج إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب بالدين والإقرار به باللسان والعمل بالجوارح وأن كل طاعة وعمل خير فرضا كان أو نافلة فهي إيمان"(٢).

ومن هنا نرى أن الخوارج تدرج العمل كمكون رئيس من مكونات الإيمان فهو داخل في حقيقة الإيمان عندهم ومن ثم فإن اختلال العمل يمثل اختلال الإيمان، والإيمان لا يقبل عندهم بغير العمل، يقول أحمد أمين: "وأهم ما قرره الخوارج، أن العمل بأوامر الدين – من صلاة وصيام وصدق وعدل – جزء

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية: الشيخ/ محمد أبوزهرة، جـ١، صـ٦٥،٦٦، طـ: دار الفكر العربي – بدون تاريخ.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم، جـ٣، صـ١٠٦.

من الإيمان، وليس الإيمان الاعتقاد وحده، فمن اعتقد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثم لم يعمل بفروض الدين وارتكب الكبائر فهو كافر"(١).

إذا مفهوم الإيمان عند الخوارج يتكون من ثلاثة أمور:

الأول: الاعتقاد.

الثاني: القول.

الثالث: العمل.

وهذه الثلاث جزء لا يتجزء من حقيقة الإيمان عند الخوارج، يقول صاحب المقاصد مبينا حقيقة الإيمان عند الخوارج "وأما على الرابع، وهو أن يكون الإيمان اسما لفعل القلب واللسان والجوارح على ما يقال إنه إقرار باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، فقد يجعل تارك العمل خارجا عن الإيمان، داخلا في الكفر، وإليه ذهب الخوارج"(٢).

فالخوارج لا تقصر الإيمان على مجرد الاعتقاد فقط بل يدخل في حقيقته القول وكل الأعمال من الطاعات، وهذا أمر جد خطير ذلك أن أي إنسان عرضة لأن يقصر في آداء الطاعات والفروض التي فرضت عليه فهل يعني ذلك أنه خارج عن دائرة الإيمان ويحكم عليه بالكفر، يحكي البغدادي مذهبهم قائلا: "وقالت الخوارج كل من ارتكب ذنبا فهو كافر"(٣).

---

(١) فجر الإسلام: أحمد أمين، صـ٢٥٩، طـ: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، طـ العاشرة سنة ١٩٦٩م.

(٢) شرح المقاصد: التفتازاني، جـ٥، صـ١٧٩.

(٣) أصول الدين: أبي منصور عبدالقاهر بن طاهر التميمي البغدادي (ت ٤٢٩هـ) صـ٢٤٩، طـ: مدرسة الإلهيات، تركيا – استانبول، طـ الأولى سنة ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م.

للأسف هذا ما يقرره مذهب الخوارج فهم يعتبرون أن كل من قصر في الطاعة يسمى كافرا تجري عليه أحكام الكفر في الدنيا ويستحق الخلود في النار في الآخرة، ولا يخفى ما لهذا المذهب وتقريره من خطورة على المجتمع لاسيما إذا علمنا أن حد التكفير عند الخوارج لا يختص فقط بكبائر المعاصي بل يشمل سائر الذنوب من الكبائر والصغائر فالكل عندهم كبيرة، يقول القاضي عبدالجبار: "وقد أنكرت الخوارج أن يكون في المعاصي صغيرة، وحكمت بأن الكل كبيرة"(١) ويحكي التفتازاني مذهب الخوارج في حكمهم بالكفر على سائر المعاصي فيقول: "وأما الخوارج فمذهب جمهورهم إلى أن كل معصية كفر"(٢). ويعضد هذه الاتجاه عند الخوارج ما ذكره النسفي عنهم حين قال: "وقول جمهور الخوارج: إن من عصى الله تعالى فقد كفر وحكمه أنه يخلد في النار، صغيرة كان من فعل أم كبيرة"(٣).

ولم تقتصر الخوارج على تكفير من قصر في آداء الأعمال فقط بل إنهم توسعوا في دائرة التكفير حتى جعلوها تشمل كل من خالفهم، يقول البغدادي: "وزعمت الخوارج أن مخالفيهم كفرة مخلدون في النار"(٤) ولا ريب أن هذا يعد تشددا واضحا بل هو إفراط في التشدد على حد وصف أحد الباحثين(٥).

---

(١) شرح الأصول الخمسة: القاضي عبدالجبار بن أحمد، صـــ٦٣٢.

(٢) شرح المقاصد: التفتازاني، جـــ٥، صـــ٢٠٢.

(٣) تبصرة الأدلة: النسفي، جـــ٢، صـــ١٠٣٨.

(٤) أصول الدين: البغدادي (ت ٤٢٩هـــ) صـــ٢٤٢.

(٥) انظر: الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة: د. علي عبدالفتاح المغربي، صـــ١٨١، طـــ: مكتبة وهبة – القاهرة، طـــ الثانية سنة ١٤١٥هـــ/١٩٩٥م.

ومن مظاهر هذا التشدد "أنهم أوجبوا امتحان من قصد عسكرهم إذا ادعى أنه منهم أن يدفع إليه أسير من مخالفيهم وأمروه بقتله فإن قتله صدقوه في دعواه أنه منهم وان لم يقتله قالوا هذا منافق ومشرك وقتلوه"(١)، ومنها أيضا "أنهم استباحوا قتل نساء مخالفيهم وقتل أطفالهم وزعموا أن الأطفال مشركون وقطعوا بأن أطفال مخالفيهم مخلدون في النار"(٢).

وتكفير المخالف لم يكن وقفا على فرقة بعينها من فرق الخوارج بل كان مبدءا عاما تقاسمته كل فرقهم بالرغم من تشعبها وتعددها(٣)، فقد ذكر البغدادي في معرض حديثه عما يجمع عليه الخوارج، عن الكعبي قوله: "الذي يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها إكفار على وعثمان والحكمين وأصحاب الجمل وكل من رضي بتحكيم الحكمين والإكفار بارتكاب الذنوب ووجوب الخروج على الإمام الجائر"(٤).

وقد حكى البغدادي أيضا قول شيخه الأشعري فيما يتعلق بما أجمعت عليه الخوارج من تكفير المخالفين فقال: "وقال شيخنا أبو الحسن الذى يجمعها إكفار

---

(١) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الإسفراييني أبو منصور(ت: ٤٢٩هـ) صـ٦٣، طـ: دار الآفاق الجديدة – بيروت، طـ الثانية سنة ١٩٧٧م.

(٢) الفرق بين الفرق: البغدادي، صـ٦٣.

(٣) انظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين: طاهر بن محمد الأسفراييني أبو المظفر (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، صـ٤٥، طـ: عالم الكتب – لبنان، طـ الأولى سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م – الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ) جـ١، صـ١١٥، طـ: مؤسسة الحلبي – بدون تاريخ، الفرق بين الفرق: البغدادي، صـ٥٤.

(٤) الفرق بين الفرق: البغدادي، صـ٥٥.

على وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ومن رضي بالتحكيم وصوب الحكمين أو أحدهما ووجوب الخروج على السلطان الجائر"([1]) بل إن أبا الحسن الأشعري في مقالاته يحكي عن نافع ابن الأزرق الخارجي أنه عقد البراءة ممن قعد مع المخالف، ومن لم يقصد عسكره ولم يهاجر إليه فهو كافر، يقول: "وأول من أحدث الخلاف بينهم نافع بن الأزرق الحنفي والذي أحدثه البراءة من القعدة والمحنة([2]) لمن قصد عسكره وإكفار من لم يهاجر إليه"([3]).

نرجع إلى حكاية البغدادي عن الكعبي ملاحظين في ثناياها أن التكفير عند الخوارج يقع ليس فقط بارتكاب الكبيرة بل إنه يقع بمجرد الذنب، وهذا توسع في إطلاق الكفر، يؤيد هذا ما ذكره صاحب التبصير عند معرض حكايته مذهب الخوارج فقال: "وكلهم – أي الخوارج – متفقون على أمرين لا مزيد عليهما في الكفر والبدعة أحدهما إنهم يزعمون أن عليا وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين وكل من رضي بالحكمين كفروا كلهم والثاني أنهم يزعمون أن كل من أذنب ذنبا من أمة محمد فهو كافر ويكون في النار خالدا مخلدا"([4])،([5]).

---

(١) الفرق بين الفرق: البغدادي، صـــ٥٥.

(٢) يبدوا لي من خلال ضبط سياق النص أن هذه اللفظة محرفة وصوابها منحة وليس محنة، فالمحنة للقعدة الذين تخلفوا عن الانضمام إليه، بينما المنحة والعطية تكون لمن قصده وهاجر إليه !!

(٣) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، تحقيق: هلموت ريتر، صـــ٨٦، طـــ: دار إحياء التراث العربي – بيروت، طـــ الثالثة، بدون تاريخ.

(٤) التبصير في الدين: الإسفراييني، صـــ٥٤.

(٥) وقد نسب البغدادي إلى الأشعري عدم رضاه عما حكاه الكعبي من دعوى إجماع الخوارج على القول بتكفير المذنبين بل إن النجدات منهم لا يرون تكفير مرتكب الكبيرة، انظر في ذلك: الفرق بين الفرق: البغدادي، صـــ٥٥، وانظر أيضا: مقالات الإسلاميين: الأشعري، صـــ٨٦.

والتوسع في دائرة التكفير عند الخوارج هو ما ترتب على عقيدتهم في جعل الإيمان ركنا من أركان الإيمان، وإنشاء العلاقة التلازمية بينهما بحث إذا ضاع أحدهما ضاع الآخر، وهذا مانسبه إليهم ابن حزم حين قرر أن الخوارج يقولون: "بذهاب الإيمان جملة بإضاعة الأعمال"(١).

فالذي يشكل فارقا بين المؤمن والكافر عند الخوارج هو الإتيان بجملة الإيمان ومايشتمل عليه من عقيدة وقول وعمل، فإن أتى الإنسان يالإيمان على هذا النحو كان مؤمنا، أما إذا فرط في أي ركن من هذه الأركان فيكون خارجا عن دائرة الإيمان عندهم.

وعند تحقيق هذا الرأي للخوراج نرى ما ينطوي عيه من خطر محدق حيث إن المقصر في آداء الطاعات والأعمال يكون مستحقا لوصف الكفر عندهم ولا يخفى ما لهذا من خطورة تحيق بالمجتمع وأهله، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن تطبيق الإيمان بهذا الشكل وبتلك المفاهيم ستضيق دائرته إلى أبعد حد لدرجة أنه لن يشمل إلا الخوارج وحدهم وسيخرج عنه ما عداهم، وقد أشار د. محمد الفيومي إلى هذه الحقيقة حين قرر أن الخوارج "لا يرون الإسلام منطبقا إلا عليهم"(٢).

وبالرغم من إشارته إلى هذه الحقيقة وهي تضييق دائرة الإيمان وقصره على الخوارج فقط، في الوقت ذاته نرى للدكتور محمد الفيومي رأيا في مفهوم الإيمان عند الخوارج، يتلخص هذا الرأي في أنه يرى أن نظرية الخوارج في

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم، جـ٣، صـ١٠٦.

(٢) تاريخ الفرق الإسلامية السياسي والديني (الخوارج والمرجئة): د. محمد إبراهيم الفيومي، صـ١٣٤، طـ: دار الفكر العربي – القاهرة، طـ الأولى سنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

العلاقة بين الإيمان والعمل تفضل نظرية القدرية (الجبرية) والمرجئة في حقيقة الإيمان عند كليهما، يقول: "لكن من جانب آخر كان موقفها الديني – أي الخوارج – كما وصفها زيد بن علي، أبرأ من القدرية الذين حملوا ذنوبهم على الله، ومن المرجئة الذين أطمعوا الفساق في عفو الله"(١).

وفي الحقيقة فإن رأي الخوارج في حقيقة الإيمان لا يفضل بكثير أو قليل رأي كل من القدرية والمرجئة فلكل رأي من هذه الآراء عواقبه الوخيمة التي تؤدي إلى الإفراط أو التفريط ولكل منهما انعكاساته السلبية على الفرد والمجتمع، لاسيما آراء الخوارج في علاقة العمل بالإيمان والتي على أساسها تعالت عندهم صيحات التكفير ومن ثم استباحة المسلمين واستحلال دمائهم الأمر الذي قد ينذر بزوال مجتمع تتفشى فيه مثل هذه الظواهر التي بنيت على آراء فاسدة ليس لها نصيب من قريب أو بعيد من صحيح الدين ووسطيته.

وعن نزعة التشدد لدى الخوارج ومباينة آرائهم لقواعد الدين يقول أحد الباحثين "وهذه الآراء ليست بآراء صحيحة، بل هي خلاف قواعد الدين الصحيحة، فإن قتل المسلم أو تكفيره أمر عظيم، فقد حرمه الإسلام ونهى عنه، وجعل إتيانه من الكبائر، وصيانة حياة المسلم قاعدة بديهية وأساسية في الإسلام لا تحتاج إلى إيراد الكثير من الأدلة، فهم بذلك قد خالفوا قواعد الدين الصريحة"(٢).

فمنهج التشدد في مختلف الأزمنة والأمكنة هو منهج خاطئ بعيد كل البعد عن الإسلام الصحيح وما تميز به من قيم الرحمة والسماحة والألفة والمودة.

---

(١) الخوارج والمرجئة: د. محمد إبراهيم الفيومي، صـــ١٣٤.

(٢) لفرق الكلامية: د. علي عبدالفتاح المغربي، صـــ١٨١.

ثانيا: المرجئة ورأيهم في مفهوم الإيمان

إذا كان رأي الخوارج يمثل جانب الإفراط (التشدد) في مفهوم الإيمان وحقيقته، فإن رأي المرجئة في مفهوم الإيمان يمثل الطرف المناقض للجانب السابق وهو جانب التفريط (التساهل) وعن نسبتهم إلى الإرجاء يقول الإيجي: "لقبوا به لأنهم يرجئون العمل عن النية أو لأنهم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية"(١).

وهذا يبرر تلك المقولة التي اشتهر بها المرجئة وصارت عنوانا عليهم عند ذكر حقيقة الإيمان لديهم، أعني مقولة (لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة)

يقول الشهرستاني "الإرجاء على معنيين: أحدهما: بمعنى التأخير كما في قوله تعالى **{قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاه}** أي أمهله وأخره، **والثاني:** إعطاء الرجاء، أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد، وأما بالمعنى الثاني فظاهر، فإنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة"(٢).

وقد أعطانا د. أحمد حجازي محقق الأبكار تعريفا وافيا لفرقة المرجئة مشفوعا بعدد أصنافهم وطوائفهم عند مؤرخي الفرق، فقال: "المرجئة من الفرق الإسلامية التي ظهرت على الساحة الإسلامية كرد فعل لظهور الخوارج

---

(١) المواقف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة، جـ٣، صـ٧٠٥، طـ: دار الجيل – بيروت، طـ الأولى سنة ١٩٩٧م. ونفس هذا المعنى نجده عند الآمدي، انظر: أبكار الأفكار في أصول الدين: الإمام: سيف الدين الآمدي المتوفى سنة ٦٣١هـ، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، جـ٥، صـ٨٤، طـ: دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة، طـ الثانية سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

(٢) الملل والنحل: الشهرستاني، جـ١، صـ١٣٩.

الذين حكموا على مرتكب الكبيرة بالكفر والخلود في النار فعارضهم المرجئة بقولهم: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، والإرجاء له معنيين: أحدهما: بمعنى التأخير: أي الإمهال في الحكم، وهذا الإطلاق صحيح لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد، والثاني: بمعنى إعطاء الرجاء، وهو ظاهر: لأنهم كانوا يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وقيل: الإرجاء تأخير الحكم إلى يوم القيامة، فلا يقضى على صاحب الكبيرة بحكم في الدنيا، وقيل: الإرجاء تأخير علي (ﷺ) عن الدرجة الأولى إلى الدرجة الرابعة، والمرجئة أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة، أما عن فرق المرجئة: فقد ذكر الأشعري في مقالات الإسلاميين أنهم اثنتي عشرة فرقة، بينما ذكر الشهرستاني في الملل والنحل أنهم ست فرق، أما البغدادي في الفرق بين الفرق فقد قال إن المرجئة الخارجة عن الجبر والقدر خمس فرق، كما ذكر أنهم خمس فرق أيضا كلا من الإسفراييني في التبصير والرازي في اعتقادات فرق المسلمين والمشركين والآمدي هنا وصاحب المواقف"(١).

ولا يخفى على لبيب ما ينضوي تحت لواء تلك المقولة التي صارت علما عليهم – لا تضر مع الإيمان معصية – من تساهل وتسيب في حقيقة الإيمان وفتح الباب على مصراعيه أمام إحداث كبائر المعاصي والذنوب وكون هذا لا يقدح في إيمان الفرد، ناهيك عما تثيره هذه المقولة في النفوس جراء المساواة بين إيمان المؤمنين قاطبة لا فرق في ذلك بين العاصي والطائع بل لا فرق بين إيمان الأنبياء وإيمان العصاة والمذنبين، وهذا يمثل هدما لمبدأ العدل وهدرا للثواب والعقاب.

---

(١) أبكار الأفكار : الآمدي، جـ٥، هامش صـ٨٤.

هذا ما ترتب على إلغاء العلاقة بالكلية بين الإيمان والعمل وقصر مفهوم الإيمان وحقيقته على مجرد التصديق فقط الأمر الذي "أطمع الفساق في عفو الله حين جعلت الإيمان لا يتجاوز القول إلى العمل بالشعائر والعبادات"(١).

فالعمل عند المرجئة منفصم تمام الانفصام عن الإيمان فلا يدخل شرط صحة أو شرط كمال للإيمان، ويفصل لنا الماتريدي علاقة العمل بالإيمان عند المرجئة فيحكي عنهم: "ذهبت المرجئة إلى أن الإيمان عقد بالقلب، وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية وعبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية في دار الإسلام وعبد الصليب وأعلن التثليث ومات على ذلك، فهو مؤمن كامل الإيمان عند اللَّه (ﷻ) ووليٌّ لله (ﷻ)، من أهل الجنة، ولما كان الإيمان عند المرجئة غير مرتبط بعمل الجوارح قال مقاتل بن سليمان – وكان من كبار المرجئة – لا يضر مع الإيمان سيئة جلت أو قلت أصلًا، ولا ينفع مع الشرك حسنة أصلاً"(٢).

وتتبين لنا مدى انفصامية العلاقة بين العمل والإيمان عند المرجئة عندما يستعرض أحد العلماء منزلة العمل من الإيمان عند بعض الفرق ثم يأتي إلى المرجئة ليحكي مذهبهم في المسألة فيقول: "والثالث: مذهب المرجئة فقالوا: لا حاجة إلى العمل"(٣).

---

(١) الخوارج والمرجئة: د.محمد إبراهيم الفيومي، صـ١٣٤ بتصرف بسيط.

(٢) تفسير الماتريدي: أبو منصور الماتريدي، جـ١، صـ١١٩.

(٣) فيض الباري على صحيح البخاري: (أمالي) محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي (المتوفى: ١٣٥٣هـ) تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، جـ١، صـ١٢٨، ١٢٩، طـ: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، طـ الأولى سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

وعليه فإن الأخذ بلازم مذهب المرجئة في مفهوم الإيمان يترتب عليه المساواة الإيمانية بين جميع الناس برهم وفاجرهم طائعهم وعاصيهم، وذلك بناء على المساواة في أصل الإيمان التي يشرك فيها الجميع دون استثناء لأحد أو تمييز أحد عن أحد، وفي هذا إهدار لقيمة العمل واستخفاف به، يقول الشيخ محمد أبوزهرة: "ويظهر من هذا أنهم تجاوزوا الحد في الاستهانة بالعمل من حيث اتصاله بأصل الإيمان ومن حيث أثره في دخول الجنة إن كان صالحا ودخول النار إن كان غير صالح"(١) ومما لا شك فيه أن هذا يعلم فساده وقبحه ضرورة، وقد أورد ابن عساكر في تاريخه عن عبدالوهاب بن مجاهد قوله: "كنت عند أبي فجاء ابنه يعقوب فقال يا أبتاه إن أصحابا لنا يزعمون أن أيمان أهل السماء وأهل الأرض واحد فقال يا بني ما هؤلاء بأصحابي لا يجعل الله من هو منغمس في الخطايا كمن لا ذنب له"(٢).

ثالثا: السلف ورأيهم في الإيمان

مصطلح السلف من المصطلحات الفضفاضة التي قد تشمل أي فرقة من الفرق بمجرد ادعائها الانتماء إلى منهج السلف الصالح، أما من ناحية الإطلاق الحقيقي لهذا المصطلح فقد أطلق على: "الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وعلى أهل القرون الثلاثة الأولى"(٣).

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية: الشيخ/ محمد أبوزهرة، جـ١، صـ١٣٥.

(٢) تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ) تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، جـ٥٧، صـ٣٩، طـ: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طـ سنة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

(٣) موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية: د. عبدالمنعم الحفني، صـ٢٤٥، طـ: دار الرشاد – القاهرة، طـ الأولى سنة١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

وبالوقوف على الإطلاق الحقيقي لمصطلح السلف يتبين لنا الفرق الجوهري بينه وبين مصطلح السلفيين ونعني بهم أولئك الذين أطلقوا على أنفسهم هذا اللقب بصرف النظر عن مدى قربهم أو بعدهم عن منهج السلف الصالح، وكان مبدأ ظهور هؤلاء كما أشار الشيخ محمد أبوزهرة "في القرن الرابع الهجري، وكانوا من الحنابلة وزعموا أن جملة آرائهم تنتهي إلى الإمام أحمد بن حنبل الذي أحيا عقيدة السلف وحارب دونها، ثم تجدد ظهورهم في القرن السابع الهجري أحياه ابن تيمية وشدد في الدعوة إليه، ثم ظهرت تلك الآراء في الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري أحياها محمد بن عبدالوهاب"(١).

من خلال التفرقة بين المصطلح الأصيل وهو السلف وبين المصطلح العارض وهو السلفيين، يتسنى لنا الوقوف على الفوارق الجوهرية بين المذهبين أو المنهجيين، وبالطبع فإن الوريقات التي أعدت لهذا البحث لن تتكفل ببيان كل هذه الفوارق لكن يكفينا في هذا المقام أن نميط اللثام عن منزلة العمل من الإيمان عند السلف حتى نتبين أن أدعياء المذهب عملوا بعد ذلك على المسارعة إلى تكفير المخالف مدعين أنهم في هذا ينهجون منهج السلف الذي تفرع عن مذهبهم في حقيقة الإيمان وأن العمل يمثل ركنا من أركانه يترتب على ضياعه ضياع الإيمان.

وإننا حين نستعرض كلام السلف وعلمائهم في بيان حقيقة الإيمان سنجد أقوالهم تدرج العمل في مفهوم الإيمان لكن هذا الإدراج لا يعني بحال من الأحوال أن العمل يمثل ركنا من أركانه، ومن ثم فإن من يدعي أن مذهب

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية: الشيخ/ محمد أبوزهرة، جـ١، صـ٢١١.

السلف يقول أن العمل ركنا وليس شرط كمال في الإيمان فإنه لم يقف على حقيقة الإيمان عند السلف.

يقول شارح العقيدة الطحاوية: "اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان، اختلافا كثيرا: فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه وسائر أهل الحديث، وأهل المدينة (ﷺ)، وأهل الظاهر، وجماعة من المتكلمين: إلى أنه تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان"(١).

ويحكي ابن حجر قول محمد بن نصر المروزي في كتابه تعظيم قدر الصلاة فيقول: "وقد نقل محمد بن نصر المروزي في كتابه تعظيم قدر الصلاة عن جماعة من الأئمة نحو ذلك وما نقل عن السلف صرح به عبد الرزاق في مصنفه عن سفيان الثوري ومالك بن أنس والأوزاعي وبن جريج ومعمر وغيرهم وهؤلاء فقهاء الأمصار في عصرهم وكذا نقله أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة عن الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية وأبي عبيد وغيرهم من الأئمة وروى بسنده الصحيح عن البخاري قال لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل"(٢).

ونقل ابن عبدالبر إجماع أهل الفقه والحديث على ذلك فقال: "أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل"(٣).

---

(١) شرح الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي، صـــ٢١٣.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، جـــ١، صـــ٤٦،٤٧، طـــ: دار المعرفة – بيروت، طـــ سنة ١٣٧٩هـــ.

(٣) التمهيد: ابن عبدالبر، جـــ٩، صـــ٢٣٨.

ويحكي السفاريني مذهب السلف فيقول: "اعلم أن مذهب سلف الأمة وجل الأئمة أن الإيمان قول وعمل ونية"(١).

ويشير ابن رجب إلى المشهور من قول السلف في هذه المسألة فيقول: "والمشهور عن السلف وأهل الحديث أن الإيمان: قول وعمل ونية"(٢).

وأشار أبويعلى إلى الإيمان من الناحية اللغوية والشرعية فقال: "الإيمان في اللغة تصديق القلب المتضمن للعلم بالمصدق، وهو في الشريعة: التصديق وجميع الطاعات الواجبات والنوافل مع اجتناب المعاصي، وهو قول باللسان ومعرفة بالقلب وعمل بالجوارح"(٣).

ويحكي النسفي مذهب السلف في ذلك فيقول: "من الناس من زعم أن الإيمان هو المعرفة بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان، وحكي هذا عن مالك والشافعي والأوزاعي وأهل المدينة وأهل الظاهر وجميع أئمة الحديث كأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه"(٤).

وقد وضح من هذه النقول السابقة أن السلف يعتمدون الإيمان مكونا من ثلاثة أركان:

الأول: التصديق.

الثاني: الإقرار.

الثالث: العمل.

---

(١) لوامع الأنوار البهية: السفاريني، جـ١، صـ٤١٦.

(٢) جامع العلوم والحكم: ابن رجب، جـ١، صـ١٠٤.

(٣) المعتمد في أصول الدين: القاضي أبويعلى الحنبلي، تحقيق:د.وديع زيدان حداد، صـ١٨٦، طـ: دار المشرق، بيروت – لبنان، طـ سنة١٩٨٦م، ، وانظر له: مسائل الإيمان: صـ١٥٢.

(٤) تبصرة الأدلة: النسفي، جـ٢، صـ١٠٧٥.

وقد أشار ابن تيمية إلى مكونات الإيمان عند السلف فقال: "وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر منهم مالك بن أنس، والليث بن سعد، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وداود بن علي، والطبري، ومن سلك سبيلهم، فقالوا: الإيمان قول وعمل، قول باللسان وهو الإقرار، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح"(١).

وإن الناظر في هذا المكونات الثلاث التي اعتمدها السلف كأجزاء للإيمان يراها هي بعينها المكونات أو الأجزاء التي قررها الخوارج، لكن ما يفرق بين السلف والخوارج في المسألة، أن السلف لا يعدون العمل داخلا في ماهية الإيمان كركن من أركانه بحيث يترتب على ضياعه ضياع الإيمان، بل إنهم يجعلون العمل شرط كمال للإيمان بحيث إذا فقد العمل لا يفقد الإيمان، وهذا ما يشكل فارقا جوهريا بين السلف والخوارج في مسألة الإيمان وحقيقته، فالخوارج لما جعلوا العمل مكونا وركنا من أركان الإيمان ترتب على فقده الحكم بالكفر، إذ العمل في نظرهم من الإيمان، وتخلف العمل يعني تخلف الإيمان، وانتفاء الجزء معناه انتفاء الكل، وهذه قضية خطيرة – كما أشرنا سابقا – وخطورتها تتعلق بأن التكفير لن يتعلق بالكافر وحده لكنه أكثر ما يكون تعلقا بالمؤمن الذي صدق بقلبه ولسانه لكنه ترك العمل.

وقد أدرك السلف هذه الخطورة التي تترتب على إدراج العمل كشرط صحة للإيمان فتداركوها بأن جعلوا العمل شرط كمال للإيمان لا شرط الصحة، وقد

---

(١) الإيمان: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) صـ٢٥٩، طـ: المكتب الإسلامي، عمان – الأردن، طـ الخامسة سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

تضافرت أقوال السلف مؤكدة هذا الأمر، يقول صاحب العقيدة الطحاوية: "ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبي (ﷺ) معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين"(١).

ثم يشرح ابن أبي العز قول الإمام الطحاوي فيقول: "يشير الشيخ (رحمه الله) بهذا الكلام إلى أن الإسلام والإيمان واحد، وأن المسلم لا يخرج من الإسلام بارتكاب الذنب ما لم يستحله، والمراد بقوله: أهل قبلتنا، من يدعي الإسلام ويستقبل الكعبة، وإن كان من أهل الأهواء، أو من أهل المعاصي، ما لم يكذب بشيء مما جاء به الرسول (ﷺ)"(٢).

ومما يدل على أن العمل عند السلف ليس ركنا من أركان الإيمان إنما هو شرط كمال، قولهم بزيادة الإيمان بالطاعة ونقصانه بالمعصية، ولو كان العمل ركنا أو شرط صحة لما كان الإيمان قابلا للزيادة والنقصان، لأنه حينئذ سيترتب على عدم العمل عدم الإيمان وليس النقصان.

وقد جاء إجماع السلف على القول بالزيادة والنقصان ليؤكد على حقيقة مهمة وهي: أن العمل عندهم شرط كمال في الإيمان، يقول ابن عبدالبر: "أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"(٣).

---

(١) شرح الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي، صـــ٢٠٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) التمهيد: ابن عبدالبر، جـــ٩، صـــ٢٣٨، وانظر تفصيل ابن عبدالبر لهذا الإجماع للفقهاء والمحدثين: جـــ٩، صـــ٢٥٢ وما بعدها.

ويؤكد السفاريني هذا الأمر حاكيا مذهب السلف في ذلك فيقول: "اعلم أن مذهب سلف الأمة وجل الأئمة أن الإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"(١).

ويربط ابن كثير بين مكونات الإيمان عند السلف وقد أشرنا إليها سابقا أنها ثلاثة مكونات: قول – عمل – تصديق، وبين الزيادة والنقصان، وأن هذا مذهب السلف في علاقة العمل بالإيمان وأنها ليست علاقة تلازمية، يقول: "الإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقادا وقولا وعملا، هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل(٢) وأبو عبيدة وغير واحد إجماعا: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وقد ورد فيه آثار كثيرة وأحاديث"(٣).

ويأتي في مقدمة من حكى القول بزيادة الإيمان ونقصانه عن أهل السنة وأصحاب الحديث، الإمام الأشعري الذي أشار أن من جملة أقوالهم: "ويقرون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"(٤).

---

(١) لوامع الأنوار: السفاريني، جـ١، صـ٤١٦.

(٢) وممن عزى القول بالزيادة والنقصان إلى أحمد بن حنبل، الذهبي، انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق: د.عمر عبد السلام تدمري، جـ١٨، صـ٨٢، طـ: دار الكتاب العربي، لبنان – بيروت، طـ الأولى سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، جـ١، صـ٧٦.

(٤) مقالات الإسلاميين: الأشعري، صـ٢٩٣، وانظر له: رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب: أبوالحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ) تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، صـ١٥٥، طـ: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، طـ سنة ١٤١٣هـ.

وقد نقل ابن حجر القول بزيادة الإيمان ونقصانه عن جمع عميم من الفقهاء والمحدثين وغيرهم، من ذلك قوله: "وروى[1] بسنده الصحيح عن البخاري قال لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص وأطنب بن أبي حاتم واللالكائي في نقل ذلك بالأسانيد عن جمع كثير من الصحابة والتابعين وكل من يدور عليه الإجماع من الصحابة والتابعين وحكاه فضيل بن عياض ووكيع عن أهل السنة والجماعة وقال الحاكم في مناقب الشافعي حدثنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع قال سمعت الشافعي يقول الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"[2].

وممن نقل عن كثير من السلف القول بالزيادة والنقصان، الإمام النووي، حيث قال: "قال الإمام أبو الحسن علي بن خلف بن بطال المالكي المغربي في شرح صحيح البخاري مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص والحجة على زيادته ونقصانه ... قال عبد الرزاق سمعت من أدركت من شيوخنا وأصحابنا سفيان الثوري ومالك بن أنس وعبيد الله بن عمر والأوزاعي ومعمر بن راشد وبن جريح وسفيان بن عيينة يقولون الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وهذا قول بن مسعود وحذيفة والنخعي والحسن البصري وعطاء وطاووس ومجاهد وعبد الله بن المبارك"[3]،...

---

(١) يقصد محمد بن نصر المروزي، فابن حجر ينقل هنا عنه من كتابه تعظيم قدر الصلاة، انظر: فتح الباري، جـ١، صـ٤٦.

(٢) فتح الباري: ابن حجر، جـ١، صـ٤٧.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) جـ١، صـ١٤٦، بتصرف بسيط، طـ: دار إحياء التراث العربي – بيروت، طـ الثانية سنة ١٣٩٢هـ.

...(١).

وإذا كانت أقوال العلماء بزيادة الإيمان ونقصانه تعد دليلا على عدم إدراجهم العمل ركنا في الإيمان أو شرط صحة له، فإننا في المقابل نرى من العلماء من صرح بالقول بأن العمل يعد شرط كمال في الإيمان، من هؤلاء ابن حجر الذي صرح بذلك في قوله: "فالسلف قالوا هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان وأرادوا بذلك أن الأعمال شرط في كماله ومن هنا نشأ لهم القول بالزيادة والنقص"(٢)،(٣).

ويحكي التفتازاني مذهب السلف في علاقة العمل بالإيمان وكونه شرط كمال لا شرط صحة عندهم فيقول: "وقد لا يجعل تارك العمل خارجا عن الإيمان بل يقطع بدخول الجنة وعدم خلوده في النار، وهو مذهب السلف وجميع أئمة الحديث وكثير من المتكلمين والمحكي عن مالك والشافعي والأوزاعي"(٤).

---

(١) امتلأت الكتب والمؤلفات بنقول كثيرة عن العلماء في القول بزيادة الإيمان ونقصانه، انظر: عمدة القاري: بدر الدين العيني، جـ١، صـ١٠٨، ١١١، ١٢٣، وانظر: تاريخ الإسلام: الذهبي، جـ١٣، صـ٤٦٩، جـ١٤، صـ٣٢٠، وانظر: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ) تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، جـ١، صـ٤٤٠، جـ٢، صـ١٥٩، ٢٨١، طـ: دار الراية – السعودية / الرياض، طـ الثانية سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

(٢) فتح الباري: ابن حجر، جـ١، صـ٤٦، وانظر نفس عبارة ابن حجر نجدها عند السفاريني الحنبلي في اللوامع، وفي هذا دليل على مراد السلف في حقيقة الإيمان ومنزلة العمل منه، واعتبارا بقيد التقدم والتأخر فإن السفاريني ردد عبارة ابن حجر بنصها إذ إنه متأخر عنه زمانا، انظر اللوامع: جـ١، صـ٤٠٥.

(٣) كما نرى في نص ابن حجر أن القول بالزيادة والنقصان يعد دليلا على أن العمل لا يدخل في الإيمان كشرط صحة بل على أنه شرط كمال، وقد أشرنا إلى هذا من قبل.

(٤) شرح المقاصد: التفتازاني، جـ٥، صـ١٧٩.

وها هو السفاريني يفرق تفرقة واضحة بين مذهب السلف وغيرهم من الفرق كالخوارج والمعتزلة والمرجئة والكرامية، في العلاقة والصلة بين العمل والإيمان، وأن إدراج العمل في حقيقة الإيمان ليس مذهب السلف، فيقول: "والفرق بينهم وبين السلف أنهم جعلوا الأعمال شرطا في صحته، والسلف جعلوها شرطا في كماله"(١).

وهذا القيد من جانب السلف، يعد فارقا جوهريا بينهم وبين غيرهم من الفرق في بيان العلاقة بين العمل والإيمان، يترتب عليه عدم إخراج المقصر والعاصي من دائرة الإيمان، وفي الوقت ذاته فيه تحجيم وتضييق على كل من يحاول التلويح بالتكفير مستغلا ترك العمل من جانب الآخرين أو تقصيرهم فيه.

وإن هذه الخطورة وما يترتب عليها من انعكاسات سلبية تلحق ضررا كبيرا على العلاقات المجتمعية، استرعت أنظار بعض السلف فترى أحدهم يطرح صورة من مساوئ إقرار العلاقة التلازمية بين الإيمان والعمل والتي يتبناها الفكر الخارجي، فيقول: "لو جاز أن يخرج من الإيمان بفعل كبيرة لجاز أن يخرج منه بفعل صغيرة لأنها ظلم لنفسه ولأنها تتضمن الخروج عن طاعة الله، ولأنه لو خرج بفسقه عن الإيمان لم يجز أن يتزوج مؤمنة ولوجب أن ينفسخ نكاحه إذا لم تكن مدخولا بها في الحال، وفي الاتفاق على بطلان ذلك دليل على أنه لم يخرج من الإيمان(٢)، والدلالة على نفي اسم الكمال أنه قد ثبت من أصلنا أن الإيمان اسم لجميع الطاعات من أفعال القلب والجوارح وهذا المعنى لا يوجد

---

(١) لوامع الأنوار: السفاريني، جـ١، صـ٤٠٥.

(٢) في هذا دليل على أن ما جرى عليه المسلمون في الأحكام الشرعية مستمد من وسطية الإسلام وأن نظرية المغالاة التي يتبناها الفكر الخارجي – في أي ناحية كانت – لا تصلح للتطبيق فضلا عن كونها مرفوضة من عموم المسلمين.

بترك بعض الواجبات فوجب أن ينتفي اسم الكمال، ولأنه لا خلاف أنه لا يطلق على من ترك الصيام والزكاة وارتكب الفواحش أنه كامل الإيمان"([1]).

فلو طبق المجتمع العلاقة التلازمية بين الإيمان والعمل لخرج أكثر الناس عن الإيمان من هذا المنظور، وإن إقرار مثل هذا الحكم يترتب عليه إجراء بعض الأحكام التشريعة مثل التفرقة بين الزوجين إذا كان الزوج غير مسلم، ناهيك عما يترتب على إيقاع مثل هذه الأحكام من تفكيك الروابط والأواصر المجتمعية.

لهذا وغيره نرى التفتازاني يضع بين أيدينا تعجبا في صورة إنكار، على من جعل التقصير في العمل ولو في أقل صورة من صور الأحكام مبررا للخروج من الإيمان وموجبا من موجبات دخول النار، فيقول: "إلا أن الخروج عن الإيمان وحرمان دخول الجنة بترك المندوب مما لا ينبغي أن يكون مذهبا لعاقل"([2]).

نرى من خلال ما سبق أن مكونات الإيمان عند السلف ثلاثة أمور:

الأول: الاعتقاد.

الثاني: القول.

الثالث: العمل.

وهي نفسها مكونات الإيمان عند الخوارج، غير أن الفارق بينهما شاسع جدا، فبينما ترى الخوارج تدخل العمل في حقيقة الإيمان وتجعل تاركه كافرا يستحق الخلود في النار باعتبار خروجه عن دائرة الإيمان.

---

(١) المعتمد في أصول الدين: أبويعلى الحنبلي، صـــ١٨٨.

(٢) شرح المقاصد: التفازاني، جـــ٥، صـــ١٧٩.

في المقابل ترى السلف لا تدرج العمل في حقيقة الإيمان ولا تجعل العلاقة بينهما تلازمية بل هي علاقة الكمال والزيادة والارتقاء، فالإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.

أما المنتسبون إلى السلف ويقولون بقول الخوارج في الإيمان، فإن آرائهم وأقوالهم تمثل شذوذا عن مذهب السلف ومخالفة صريحة لما كان عليه السلف في مسألة الصلة والعلاقة بين العمل والإيمان.

المبحث الثالث

رأي الأشاعرة في مفهوم الإيمان

المختار عند السادة الأشاعرة أن الإيمان الشرعي هو التصديق القلبي، يقول الأشعري إمام المذهب: "إن قال قائل: ما الإيمان عندكم بالله تعالى؟ قيل له: هو التصديق بالله وعلى ذلك اجتماع أهل اللغة التي نزل بها القرآن"(١).

وقد نسبه إليه ابن فورك فيما يحكيه من مقالات الإمام الأشعري، يقول: "وكان يقول – أي الأشعري – قد اتفقنا مع جميع المخالفين لنا في الإيمان أن معنى الإيمان هو التصديق في اللغة قبل ورود الشرع، واتفقنا أن القرآن نزل على لغتهم، فوجب أن يتعرف معناه منها، ولم يثبت النقل عن اللغة في شيء من الأسماء والأوصاف، ولا انثبت زيادة اسم بالشريعة مما لم يكن في اللغة ... وأن الأمر في الأسماء في الشريعة على ما كان عليه في اللغة لم يبدل ولم يغير، فلما وجدناهم – أي العرب – لا يعرفون في لغتهم قبل ورود الشريعة الإيمان إلا التصديق ... جرى هذا عنده – أي عند الأشعري – أصلا معتمدا في إثبات اسم الإيمان بهذا المعنى"(٢).

نرى من خلال النصين السابقين أن الشيخ الأشعري قد عول كثيرا على الوضع اللغوي لكلمة الإيمان حتى إن أكثر علماء المذهب من بعده قد عولوا أيضا على ذلك.

---

(١) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع: أبوالحسن الأشعري (ت: ٣٣٠هـ) صححه وقدم له وعلق عليه: د. حموده غرابه، صـ١٢٣، طـ: مطبعة مصر، طـ سنة ١٩٥٥م.

(٢) مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري: إملاء: الشيخ الإمام/ أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك المتوفى سنة ٤٠٦هـ، عني بتحقيقه: دانيال جيماريه، صـ١٥٠ بتصرف بسيط، طـ: دار المشرق، بيروت – لبنان، طـ سنة ١٩٨٧م.

يقول صاحب المواقف: "اعلم أن الإيمان في اللغة التصديق، قال تعالى حكاية عن إخوة يوسف وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا أي بمصدق، وقال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله أي تصدق، وأما في الشرع وهو متعلق ما ذكرنا من الأحكام فهو عندنا وعليه أكثر الأئمة كالقاضي والأستاذ التصديق"(١)، ومن هؤلاء الإمام الجرجاني في شرحه على المواقف(٢).

وقد انجلى هذا ووضح عند الإمام السعد في تناوله للمعنى اللغوي لكلمة الإيمان فقد أشار إلى أن المعني اللغوي للكلمة وهو التصديق هو عينه المعني الشرعي للإيمان ثم أردف بقوله: "وهذا هو المشهور وعليه الجمهور"(٣).

ومنهم أيضا الإمام الباقلاني الذي يقول: "فإن قال قائل: خبرونا ما الإيمان عندكم، قلنا: الإيمان هو التصديق بالله تعالى وهو العلم، والتصديق بالقلب، فإن قال: وما الدليل على ما قلتم ؟ قيل له: إجماع أهل اللغة على أن الإيمان في اللغة قبل نزول القرآن وبعثة النبي (ﷺ) هو التصديق لا يعرفون في لغتهم إيمانا غير ذلك ... فوجب أن يكون الإيمان في الشريعة هو الإيمان المعروف في اللغة، لأن الله (ﷻ) ما غير لسان العرب ولا قلبه ولو فعل ذلك لتواترت الأخبار بفعله وتوفرت دواعي الأمة على نقله ولغلب على إظهاره وإشهاره على طيه وكتمانه، وفي علمنا بأنه لم يفعل ذلك بل أقر أسماء الأشياء والتخاطب بأسره على ما كان فيها دليل على أن الإيمان في الشرع هو الإيمان اللغوي"(٤).

---

(١) المواقف: الإيجي، جـ٣، صـ٥٢٧.

(٢) انظر: شرح المواقف: السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفي سنة٨١٦هـ، ضبطه وصححه: محمود عمر الدمياطي، جـ٨، صـ٣٥١ وما بعدها، طـ: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، طـ الأولى سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٣) شرح المقاصد: التفتازاني، جـ٥، صـ١٧٧.

(٤) التمهيد: الباقلاني المتوفى، صـ٣٨٨ – ٣٩٠ بتصرف بسيط.

وقد ذهب أيضا الإمام الجويني إلى التعويل على المعنى اللغوي فقال: "والمرضي عندنا أن حقيقة الإيمان التصديق بالله تعالى .. والدليل على أن الإيمان هو التصديق صريح اللغة وأصل العربية، وهذا لا ينكر فيحتاج إلى إثباته"(١)، ويؤكد على هذا في موضع آخر، مدعما تأكيده بدليل من القرآن، فيقول: "فحقيقة الإيمان عندنا التصديق، وهو معناه في اللغة واللسان، قال الله (ﷻ): **{وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا}** معناه: وما أنت بمصدق"(٢).

وممن ذهب إلى أن معنى الإيمان التصديق، الإمام الرازي حيث قال: "الإيمان عبارة عن الاعتقاد، والقول سبب لظهوره"(٣)، وفي موضع آخر نسب إليه الإيجي قوله: "واعلم أن الإمام الرازي قرر في النهاية الوجه الثالث هكذا المراد بالإيمان هنا التصديق"(٤).

ويقرر الدواني في شرحه على العقائد العضدية أن شواهدا من القرآن – وهو الحاكم على اللغة – تشير أن الإيمان يعني التصديق، وأن هذا مذهب الأشعري وأتباعه، فقال: "والإيمان في اللغة التصديق لقوله تعالى: وَمَا أَنْتَ

---

(١) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: إمام الحرمين الجويني، تحقيق وتعليق وتقديم: د. محمد يوسف موسى، علي عبدالمنعم عبدالحميد، صـــ٣٩٧ بتصرف بسيط، طـــ: مكتبة الخانجي – القاهرة، مكتبة المثنى – بغداد، طـــ سنة ١٣٦٩هـــ/١٩٥٠م.

(٢) العقدية النظامية في الأركان الإسلامية: أبي المعالي عبدالملك ابن عبدالله بن يوسف الجويني (ت: ٤٧٨هـــ) تحقيق وتعليق: محمد زاهد الكوثري، صـــ٨٤، طـــ: المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة، طـــ سنة ١٤١٢هـــ/١٩٩٢م.

(٣) معالم أصول الدين: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـــ) تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، صـــ١٣٣، طـــ: دار الكتاب العربي – لبنان، بدون تاريخ.

(٤) المواقف: الإيجي، جـــ٣، صـــ٥٤١.

بِمُؤْمِنٍ لَنَا، أي بمصدق لنا ... هذا مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري وأتباعه"(١).

هكذا نرى أن جل أئمة المذهب الأشعري يذهبون إلى أن معنى الإيمان هو التصديق والاعتقاد، ومستندهم في ذلك هو الوضع اللغوي لكلمة الإيمان.

لكن إذا كان الأشاعرة قد ذهبوا إلى أن الإيمان يعني التصديق فما المراد بالتصديق عندهم؟ وما حده؟ وبأي شيء يكون؟

معنى التصديق القلبي: إيقاع هذا الاعتقاد – الذي يعني تصديق القلب – على وجه الجزم واليقين بما تؤمن به، والاعتقاد على هذا النحو وبهذه الكيفية هو ما أشار إليه صاحب المذهب الإمام الأشعري فيما نسبه إليه ابن فورك حين قال: "وكان يقول إن الإيمان هو تصديق القلب، وهو اعتقاد المعتقد صدق من يؤمن به وكان لا يجعل إقرار اللسان مع إنكار القلب إيمانا على الحقيقة، وكان لا يسمي المنافق مؤمنا على الحقيقة، بل كان يقول إنه كافر لاعتقاده وعير مؤمن لإقراره"(٢).

وقد أكد تلامذة الأشعري هذا المعنى للتصديق، ومنهم الباقلاني الذي شرح التصديق بقوله: "واعلم أن محل التصديق القلب، وهو أن يصدق القلب بأن الله إله واحد، وأن الرسول حق، وأن جميع ما جاء به الرسول حق، وما يوجد من اللسان وهو الإقرار وما يوجد من الجوارح وهو العمل، فإنما ذلك عبارة عما في القلب ودليل عليه"(٣).

---

(١) حاشية الشيخ اسماعيل الكلنبوى (ت: ١٢٠٥هـ) على شرح الجلال الدواني (ت: ٩١٨هـ) على العقائد العضدية، جـ٢، صـ٢٨٥، ط المطبعة العثمانية، طـ سنة ١٣١٦هـ.

(٢) مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري: ابن فورك، صـ١٥٠ بتصرف بسيط.

(٣) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به: القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني البصري (ت: ٤٠٣هـ) تحقيق وتعليق وتقديم: محمد زاهد الكوثري، صـ٥٢، طـ: المكتبة الأزهرية للتراث، طـ الثانية سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

ومنهم أيضا إمام الحرمين الجويني الذي أشار إلى أن معنى التصديق هو كلام النفس القائم على العلم، يعني الاعتقاد الجازم القائم على اليقين، يقول: "والمرضي عندنا أن حقيقة الإيمان التصديق بالله تعالى، فالمؤمن بالله من صدقه، ثم التصديق على التحقيق كلام النفس، ولكن لا يثبت إلا مع العلم، فإن أوضحنا أن كلام النفس يثبت على حسب الاعتقاد"(١)

وقد عدد الآمدي من ذهب إلى أن الإيمان لا يخرج عن أعمال القلب وأن حقيقة الإيمان التصديق القلبي، من الأشاعرة وغيرهم ممن وافقهم، وقد أتى على رأس هؤلاء إمام المذهب الأشعري الشيخ أبي الحسن، يقول: "أما من قال بأنه لا يخرج عن أعمال القلب فقد اختلفوا: فمنهم من قال: الإيمان هو تصديق القلب، وهو مذهب الشيخ أبي الحسن والقاضي أبي بكر، والأستاذ أبي إسحاق، وأكثر الأئمة، ووافقهم على ذلك الصالحي وابن الراوندي(٢) من المعتزلة"(٣).

---

(١) الإرشاد: الجويني، صـــ٣٩٧.

(٢) كان من متكلمي المعتزلة ثم فارقهم وصار ملحدا، انظر ذلك في: الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد: أبي الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي: مع مقدمة وتحقيق وتعليقات للدكتور/ نيبرج، صـــ٢٥، طـــ مكتبة الدار العربية، القاهرة، مطبعة أوراق شرقية، بيروت، ط٢ سنة ١٤١٣هـــ/١٩٩٣م، تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـــ) دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، جـــ٢١، صـــ٥٧، طـــ: دار الكتب العلمية – بيروت، طـــ الأولى سنة ١٤١٧هـــ، الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـــ) تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، جـــ٨، صـــ١٥١، طـــ: دار إحياء التراث – بيروت، طـــ سنة١٤٢٠هـــ/٢٠٠٠م.

(٣) أبكار الأفكار: الآمدي، جـــ٥، صـــ٧.

وعلى نهج الآمدي سار الإيجي، حيث بين معنى الإيمان متوجا هذا البيان بسرد من قال به من أئمة المذهب وغير المذهب فيقول: "فهو عندنا يعني أتباع الشيخ أبي الحسن وعليه أكثر الأئمة كالقاضي والأستاذ ووافقهم على ذلك الصالحي وابن الراوندي من المعتزلة التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة تفصيلا فيما علم تفصيلا وإجمالا فيما علم إجمالا فهو في الشرع تصديق خاص"(١).

وقد أكد الدواني في شرحه على عقائد العضد أن التصديق بهذا المعنى هو مذهب الأشعري وأتباعه، فقال: "والإيمان في الشرع هو التصديق بما علم مجيء النبي (ﷺ) به ضرورة تفصيلا فيما علم تفصيلا وإجمالا فيما علم إجمالا هذا مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري وأتباعه"(٢).

يتضح لنا من خلال ما سبق أن الإيمان عند الشاعرة يعني تصديق القلب واعتقاده اعتقادا جازما بما جاء به الرسول من عند الله، ومعنى ذلك أن الإيمان يكون اسما لفعل القلب، وأنه يختص بالباطن، فهل في المقابل يكون الإسلام مختصا بالظاهر أي بأفعال الجوارح؟

والإجابة: نعم، إذا كان الإيمان يختص بالباطن فإن الإسلام يخص الظاهر، ومن ثم أشار العلماء إلى أن الإسلام يأتي بمعنى الاستسلام والانقياد والخضوع، يقول الباقلاني: "فإن قال قائل: ما الإسلام عندكم؟ قيل له: الإسلام هو الانقياد والاستسلام، وكل طاعة انقاد العبد بها لربه تعالى واستسلم فيها لأمره فهي إسلام .. وكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيمانا"(٣).

---

(١) المواقف: الإيجي، جـ٣، صـ٥٣٣.

(٢) حاشية الشيخ إسماعيل الكلنبوى على شرح الجلال الدواني على العقائد العضدية، جـ٢، صـ٢٨٥.

(٣) التمهيد: الباقلاني، صـ٣٩٠ -٣٩٢ بتصرف بسيط.

أما الآيات التي وردت فيها معاني الإيمان والإسلام متبادلة فقد تُوجه توجيهين:

الأول: أن الحديث في مثل هذه الآيات عن الإيمان والإسلام إنما هو حديث عن الدين أو الرسالة بصفة عامة، بل قد يكون حديثا عن الدين بمعناه الأكبر الذي اشتمل على كافة الأديان المنزلة ابتداء بآدم (عليه السلام) وانتهاء بسيدنا محمد (ﷺ).

الثاني: هنالك قاعدة يكون بها توجيه مثل هذه الآيات الكريمة التي تجد فيها نوعا من التداخل أو اتحاد في المعنى بين كلمتي الإيمان والإسلام، فحوى هذه القاعدة: أن لفظي الإيمان والإسلام – كما مر – إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، وهذا من شأن الكلمات التي تنمي إلى أسرة واحدة على حد تعبير الشيخ دراز (رحمه الله) الذي يقول بعد أن استعرض بعض الكلمات التي تجد فيها نوعا من التداخل في المعنى وكان من هذه الكلمات كلمتي الإيمان والإسلام "هذه الكلمات التوائم كلما اجتمعت في العبارة افترقت في المعنى، وكلما افترقت في العبارة اجتمعت أو مالت إلى الاجتماع في المعنى بقدر الإمكان"(١).

وهذا ما نراه في الآيات التي اجتمع أو افترق فيها لفظي الإيمان الإسلام وحدث تبادل في المعنى لكل منهما، فإذا ذكرا معا تجد أن لكل منهما معناه الخاص، وإذا ذكرا غير مجتمعين فإنهما قد يتحدان في المعنى.

وفي ضوء ما سبق نستطيع أن نؤكد عدة حقائق هامة وهي:

أولا: الإيمان يعني التصديق أو الاعتقاد الجازم ومحله القلب مما يعني أنه لا يحق لأحد كائنا من كان أن يمنح هذا الحق أو يسلبه عن الآخر ذلك لأن السرائر موكول علمها إلى الله.

---

(١) الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان: د. محمد عبدالله دراز، صـ٥٨، طـ: دار القلم، الكويت، بدون تاريخ.

ثانيا: الإسلام يعني الانقياد والاستسلام والخضوع وهو يختص بالظاهر أي أنه يظهر من خلال قيام الجوارح بالأعمال التكليفية.

ثالثا: إذا كان مذهب السادة الأشاعرة يذهب إلى أن الإيمان يعني التصديق وأن محله القلب وبالتالي فلا يجوز أن يكون الميزان في الحكم على الناس هو الباطن لأن أمره موكول إلى الخالق (ﷻ)، والعمل بالنسبة للإيمان عند السادة الأشاعرة فرع عن مذهبهم في حقيقة الإيمان وهذا يعني أنهم لا يعتبرون العمل مكونا رئيسا من مكونات الإيمان أي أنه لا يدخل في حقيقة الإيمان بحيث إذا انتفى انتفى الإيمان وإذا وجد وجد الإيمان، كلا فقد يوجد الإيمان ولا يوجد العمل، وقد يوجد العمل ولا يوجد الإيمان، فالعمل خارج عن حقيقة الإيمان.

وقد صرح الرازي بهذا حين قال: "والأعمال خارجة عن مسمى الإيمان"(١)، وأشار الدواني أيضا إلى ذلك حين تكلم عن حقيقة الإيمان فقال: "فدل ذلك على أنه فعل القلب وهو التصديق والعمل خارج عنه"(٢).

يريدون بذلك نفي العلاقة التلازمية بين العمل والإيمان، وأن العمل بالنسبة للإيمان هو شرط كمال وليس شرط صحة، وعمدتهم في ذلك التدليل على تغاير مفهوم الإيمان عن مفهوم العمل، ولو لم يكونا متغايران لكانا متحدان في المفهوم ولو كانا متحدان لأصبحت حقيقتهما واحدة فيجتمعان معا ويرتفعان معا، لكن تغاير المفهوم نتج عنه أنهما قد يجتمعان معا لكنهما لا يرتفعان معا بل يبقى أحدهما ويرتفع الآخر، فالعلاقة بينهما ليست علاقة تلازم، وإن أول من دلل على ذلك هو صاحب المذهب، حيث نسب ابن فورك إليه أنه "كان يقول إن

---

(١) معالم أصول الدين: الرازي، صـــ١٣٣.

(٢) حاشية الشيخ إسماعيل الكلنبوى على شرح الجلال الدواني على العقائد العضدية، جـــ٢، صـــ٢٨٦.

الأعمال شرائع الإيمان مثل الصلاة والزكاة والطهارة وما يظهر على الأركان، وإن شريعة الشيء غير الشيء، وإنه يجوز أن يقال على طريق التوسع للشرائع إنها إيمان على معنى أنها شرائع الإيمان وأمارات له وعلامات، وعلى ذلك يتأول قوله تعالى: **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}** إذا قيل أن المراد به صلاتكم، وقد تسمى أمارة الشيء ودلالته باسمه كما تسمى دلائل العلم علما فيقال: في هذا الدفتر علم كثير والمارد بذلك دلالات العلم"(١).

وممن ذهب إلى أن تسمية الأعمال باسم الإيمان تسمية مجازية لا حقيقية، لا تتعدى كونها دلالة أو علامة، العز بن عبدالسلام، حيث أشار إلى أن الإطلاق الحقيقي للإيمان هو التصديق القلبي وما سواه من إطلاقات أخرى تخص الأعمال الظاهرة فهي من قبيل المجاز وليس الحقيقة، يقول: "الإيمان عبارة عن تصديق القلب حقيقة، وعن العمل بمواجب التصديق مجازا، لأن العمل بمقتضى الإيمان من فوائده وثمراته وفروعه ومسبباته، والعرب يتجوزون بإطلاق اسم المثمر على ثمرته واسم المسبب على سببه وفائدته ... وقد يطلق الإيمان على طمأنينة القلب وسكونه، وعلى الإقرار باللسان، وقد خص الشارع استعمال التصديق – تصديق القلب – بالتصديق بالأمور الشرعية، فأقل مراتبه: التصديق بالشهادتين، ويليها: التصديق بما ذكر في حديث جبريل .. فهو حقيقة من جهة أنه تصديق، ومجاز من جهة اختصاصه بالأمور الشرعية .. واستعمال الشارع الإيمان في التصديق أغلب من استعماله في فوائده وثمراته، وهو المتبادر إلى الأفهام عند الإطلاق .. قوله تعالى: **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}** أي صلاتكم، سماها إيمانا لأنها من فوائد الإيمان"(٢).

---

(١) مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري: ابن فورك، صـــ١٥٢،١٥٣.

(٢) معنى الإيمان والإسلام: العز بن عبدالسلام، صـــ٩،١٠،١١ بتصرف.

فتسمية الأعمال باسم الإيمان هو تجوز وليس إطلاقا حقيقيا، فالإطلاق الحقيقي الذي يصدق على الإيمان هو التصديق، بينما إطلاق الأعمال على الإيمان إطلاقات مجازية لا حقيقية، وقد أكد العز على هذا من خلال حديثه عن كون الأعمال ليست داخلة في حقيقة الإيمان ومفهومه وأن هذا مما اتفق عليه أهل السنة، فقال: "اتفق أهل السنة على أن هذه الأعمال ليست من شرط الإيمان"(١).

ويعضد هذا قول الإمام السعد: "إن الأعمال غير داخلة في حقيقة الإيمان لما ثبت أنه اسم للتصديق"(٢)، ثم يدلل الإمام التفتازاني على مذهبه بقوله: "أن المؤمن قد يؤمر وينهى مثل: **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ}** **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا}** وللنصوص الدالة على أنهما أمران متغايران مثل: **{الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}** وقد يتفارقان مثل: **{وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا}**"(٣).

وأقام إمام الحرمين الأدلة على كون العمل غير داخل في حقيقة الإيمان فقال: "وقد يشهد لما ذكرناه إجماع العلماء على افتقار الصلوات ونحوها من العبادات إلى تقديم الإيمان، فلو كانت أجزاء من الإيمان لامتنع إطلاق ذلك"(٤).

---

(١) معنى الإيمان والإسلام: العز بن عبدالسلام، صـــ١١.

(٢) شرح المقاصد: التفتازاني، جـــ٥، صـــ١٩٢.

(٣) شرح المقاصد: التفتازاني، جـــ٥، صـــ١٩٢، ١٩٣، وانظر: معالم أصول الدين: الرازي، صـــ١٣٣،١٣٤.

(٤) الإرشاد: الجويني، صـــ٣٩٨، وانظر أدلته على ذلك في العقيدة النظامية: صـــ٨٥ ما بعدها.

وقد صرح صاحب الحجة أن كون الأعمال غير داخلة في حقيقة الإيمان هو مذهب الأشاعرة، وفائدة هذا القول، التفريق بين كامل الإيمان وناقص الإيمان، فمن أتى بالأعمال كان إيمانه كاملا، ومن أخل كان إيمانه ناقصا "وقالت الأشعرية: الإيمان هو التصديق، والأفعال والأقوال من شرائعه، لا من نفس الإيمان، وفائدة هذا الاختلاف أن من أخل بالأفعال وارتكب المنهيات لا يتناوله اسم مؤمن على الإطلاق، فيقال: هو ناقص الإيمان لأنه قد أخل ببعضه"(١).

وذهب البيجوري هذا المذهب حيث ردد مع جمهور الأشاعرة أن العمل شرط كمال للإيمان وليس شطرا له، وذلك حين شرح قول صاحب الجوهرة (فقيل شرط كالعمل) فقال: "وهذا شرط كمال على المختار عند أهل السنة، فمن أتى بالعمل فقد حصل الكمال، ومن تركه فهو مؤمن، لكنه فوت على نفسه الكمال"(٢).

وفي موضع آخر يؤكد مذهبه والأشاعرة في العلاقة بين العمل والإيمان وذلك حين تحدث عن العلاقة بينهما من حيث إن الإسلام انقياد الظاهر، والإيمان انقياد الباطن، فقال: "وعلى هذا فالنطق دليل عليهما، والعمل كمال لهما"(٣).

وبالطبع فإن كون العمل شرط كمال للإيمان لا شرط صحة مما يتناسب مع منهج الإسلام ويتماشى مع وسطيته، أما أن نجعل صاحب العمل مؤمنا

---

(١) الحجة في بيان المحجة: أبو القاسم الأصبهاني، جـ١، صـ٤٣٨.

(٢) تحفة المريد: الشيخ/ إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي البيجوري (ت: ١٢٧٧هـ) في شرح جوهرة التوحيد للعلامة الشيخ برهان الدين إبراهيم بن حسن اللقاني (ت: ١٠٤١هـ) ضبط وتصحيح: عبدالله محمد الخليلي، صـ٥٥، طـ: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، طـ الثانية سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

(٣) تحفة المريد: البيجوري، صـ٥٧.

والمقصر كافرا فهذا شذوذ عن المنهج وبعد عن الوسطية، ومن ثم كان تقرير الأشاعرة أن الإيمان لا يزول بالمعاصي، يقول الجويني: "واسم الإيمان لا يزول بالعصيان"(١).

إن إدراج العمل كركن من أركان الإيمان يترتب عليه أن التقصير فيه يعني الخروج من الإيمان، مما ينتج على ذلك بعض المحالات:

أولا: أن الإتيان بالطاعة على وجه من الكثرة والزيادة يجعل إيمان الإنسان من غير الأنبياء يفوق إيمانه إيمان الأنبياء، وهذا ما لم يقل به أحد.

ثانيا: أكثر الناس معرضون للإخراج من الإيمان، وذلك لأن وقوع الذنب من الإنسان مما جرت به السنن الإلهية.

ثالثا: أن التسليم بالإخراج من الإيمان بمجرد الذنوب، يتناقض مع الحكمة الإلهية في إيقاع الذنب من الإنسان، ذلك لأن إتيان الذنب من المسلم ثم الرجوع والإنابة إلى الله من مقتضيات الوجود الإنساني في هذا الكون وحمل أمانة التكليف، وقد أشارت النصوص النبوية إلى هذا المعنى، أخرج الإمام مسلم في صحيحه أن النبي (ﷺ) قال « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله فيغفر لهم »(٢)، وأخرج ابن ماجة في سننه قول النبي (ﷺ) « كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون »(٣).

---

(١) العقيدة النظامية: الجويني، صـــ٨٥.

(٢) صحيح مسلم، جـــ٤، صـــ٢١٠٦، كتاب: التوبة، باب: سقوط الذنوب بالاستغفار توبة.

(٣) سنن ابن ماجه: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـــ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، جـــ٥، صـــ٣٢١، طـــ: دار الرسالة العالمية، طـــ الأولى سنة ١٤٣٠هـــ/ ٢٠٠٩م، باب: ذكر التوبة.

رابعا: الإخراج من الإيمان لترك الطاعة على غير وجه الجحود والعناد، قول لا ينهض عليه دليل صحيح أصيل.

إن منهج السادة الأشاعرة في هذه المسألة – علاقة العمل بالإيمان – هو المنهج الوسطي الأسلم الذي يقطع الطريق على منتهجي التطرف والغلو الذين لا يرعوون من إطلاق صيحات التكفير وسلوك مسلك العداء والإقصاء ضد من يخالفونهم في الرأي أو التوجه، ولب المذهب عند هذه الجماعات والفرق اعتبار العمل ركن ركين من الإيمان فإذا انتفى ولو جزءا يسيرا منه سارعوا إلى التكفير وهذا خطأ لأن هذا المنهج يفتح الباب على مصراعيه لأن يكفر الناس بعضهم بعضا لمجرد التقصير في آداء العمل.

ولا يخفى على لبيب أن هذا كان منهجا للخوارج فقد يكفرون صاحب الذنب فكل مذنب كافر عندهم وعلى أساس من هذا المنهج استباحوا الأنفس والحرمات، وإذا كانت حجة الخوارج في ذلك ومن جرى مجراهم تضافر أقوال السلف التي جاء فيها أن العمل ركن من أركان الإيمان، فإنهم قد فهموا كلام السلف فهما غير صحيح وحملوه على محمل الخطأ، فليس المراد من إضافة العمل إلى الإيمان في التعريف أنه يدخل في حقيقة الإيمان وصلبه، بل المراد أن العمل هو كمال الإيمان وليس حقيقته.

وقد وضح العلماء النابهون هذا الأمر وأماطوا اللثام عن المراد من إضافة العمل إلى الإيمان في كلام السلف رضوان الله عليهم، يقول الحافظ بن حجر "فالسلف قالوا هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان وأرادوا بذلك أن الأعمال شرط في كماله ومن هنا نشأ لهم القول بالزيادة والنقص"(١)، ويقول فضيلة الإمام الأكبر أ.د. أحمد الطيب – حفظه الله –" أما الأعمال من صلاة

(١) فتح الباري: ابن حجر، جـ١، صـ٤٦.

وصيام وحج وزكاة، ومن فعل الواجبات وترك المحرمات، فإنها لا تدخل في حقيقة الإيمان، أي: ليست جزءا مقوما لماهيته بل هي شرط كمال، ولها شأن خطير في زيادة الإيمان ونقصه، فهي تصعد بالإيمان إلى أعلى درجاته، كما تهبط به أيضا إلى أدنى درجاته"(١).

رابعا: بين الإيمان والإسلام عند الأشاعرة علاقة وطيدة فالإسلام عنوان على الإيمان لكن انتفاء الإسلام بمعناه السابق لا يدل على انتفاء الإيمان مما يعني أن العمل لا يدخل في حقيقة الإيمان عند السادة الأشاعرة بل هو لكمال الإيمان وله شأن كبير فيه فهو الذي يصعد به إلى أعلى الدرجات وانتفاؤه والتقليل منه ينزل به إلى أدنى الدرجات، وقد أخذ علماء الأشاعرة في حسبانهم هذه المسألة لذلك يقول الإمام التفتازاني: "ولا نقل – أي عن العمل – أنه لا ينفع عند معاينة العذاب، ولا عمل"(٢)، فإنهم وإن قالوا بأن العمل لا يدخل في حقيقة الإيمان بيد أنهم لا يقللون من شأنه إطلاقا بل إن وجوده يمثل أهمية قصوى في شأن زيادة الإيمان ونقصانه(٣)، وقد صرح بالزيادة والنقصان أئمة المذهب وعلى رأسهم الأشعري حين أبان قول أهل الحق والسنة فقال: "الإيمان

---

(١) خطورة التكفير: أد. أحمد الطيب، ورقة بحثية لمؤتمر الأزهر العالمي لمواجهة التطرف والإرهاب (القاهرة ١١- ١٢ صفر ١٤٣٦هـ/ ٣- ٤ ديسمبر ٢٠١٤م) باعتناء وتصدير فضيلة شيخ الأزهر: أ.د. أحمد الطيب، صـ٧٣، طـ: دار القدس العربي – القاهرة، طـ الأولى سنة ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

(٢) شرح المقاصد: التفتازاني، جـ٥، صـ١٩٢ بتصرف بسيط.

(٣) مما لا يخفى على لبيب أن القول بزيادة الإيمان ونقصانه من جانب الأشاعرة من أهم وأقوى الأدلة على تقريرهم عدم التلازم بين الإيمان والعمل، وكون العمل شرط كمال لا شرط صحة عندهم.

قول وعمل يزيد وينقص"(١)، وبالزيادة والنقصان قال الإيجي: "الحق أن التصديق يقبل الزيادة والنقصان"(٢)، ونسب القول به إلى جمهور الأشاعرة، البيجوري صاحب التحفة حيث قال: "ورجح جماعة من العلماء وهم جمهور الأشاعرة القول بزيادة الإيمان .. بسبب زيادة طاعة الإنسان .. ورجح الجماعة المتقدمون القول بنقص الإيمان بسبب نقص الطاعة .. وإذا قلنا بأن الإيمان يزيد وينقص فمحله في غير إيمان الأنبياء والملائكة"(٣).

كل هذا يدلنا على أن العمل له وجاهته وليس يعني أن العمل شرط كمال للإيمان أنه شيء ثانوي عند الأشاعرة أو أنهم أهملوا قيمته، فتارك العمل معرض للعذاب والعقاب، بل إن بعضهم ذهب إلى أن المعرفة القلبية –

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة: الإمام أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري، تحقيق: بشير محمد عيون، صـ٤٩، طـ: مكتبة دار البيان – سوريا، مكتبة المؤيد – السعودية، طـ الثالثة سنة ١٤١١هـ/١٩٩٠م، وقد تضافرت تأكيدات الأشاعرة من بعد الأشعري على صحة هذا القول للأشعري ومن ثم اعتماد الزيادة والنقصان بالنسبة للإيمان منهجا للأشاعرة في بيان علاقة العمل بالإيمان، انظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ) صـ١٦٠، طـ: دار الكتاب العربي – بيروت، طـ الثالثة سنة ١٤٠٤هـ، وانظر: طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) تحقيق: د.محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو، جـ١، صـ١٣٣، طـ: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، طـ الثانية سنة ١٤١٣هـ.

(٢) المواقف: الإيجي، جـ٣، صـ٥٤٢، وقد أقام الأدلة على قبول الإيمان للزيادة والنقصان، انظر: جـ٣، صـ٥٤٣،٥٤٤.

(٣) تحفة المريد: البيجوري، صـ٥٩،٦٠ بتصرف بسيط.

التصديق – قد لا تنفع إذا لم تتوج بالإذعان والقبول، والإذعان والقبول يعني عمل الجوارح بما قام به القلب من التصديق والاعتقاد، يقول الدواني: "والتلفظ بكلمتي الشهادتين مع القدرة عليه شرط فمن أخل به فهو كافر مخلد في النار ولا ينفعه المعرفة القلبية من غير إذعان وقبول"(١).

ويذهب صاحب التحفة إلى قريب من هذا المعنى حين يقرر أن افتقاد العمل إذا كان على وجه الاستحلال والعناد والإنكار فإن هذا يعد كفرا، يقول: "فمن أتى بالعمل فقد حصل الكمال، ومن تركه فهو مؤمن، لكنه فوت على نفسه الكمال إذا لم يكن مع ذلك استحلال أو عناد للشارع أو شك في مشروعيته وإلا فهو كافر"(٢).

وكأننا بهذه التقريرات من جانب الأشاعرة في توجيه العلاقة بين العلم والإيمان وكون العمل شرطا وليس شطرا، والتي نلاحظ التزام علما المذهب الأشعري بها من أول أبي الحسن إلى من بعده من رجال المذهب، ثم تأكيدهم على العمل وأهميته وأن إهماله قد يورث صاحبه العناد والإنكار وأن تركه على هذا الوجه مما يؤدي إلى الكفر، نلمس منهجا متماسكا متزنا، في مسألة من أهم المسائل وهي إقرار العلاقة بين الإيمان والعمل.

---

(١) حاشية الشيخ إسماعيل الكلنبوى على شرح الجلال الدواني على العقائد العضدية، جـ٢، صـ٢٨٥.

(٢) تحفة المريد: البيجوري، صـ٥٥.

المبحث الرابع

آثار التلازم بين الإيمان والعمل

تكملة للحديث السابق عن مفهوم الإيمان والإسلام ومن ثم علاقة العمل بالإيمان، كان لا بد من الحديث عن الآثار الناتجة عن القول بالعلاقة التلازمية بين الإيمان والعمل، هذه العلاقة التي يتبناها الفكر الخارجي وبعض الآراء الشاذة التي تدعي انتمائها وانتسابها للفكر السلفي ومن سار على هذا النهج من الفرق والمذاهب والتيارات.

ومما لا شك فيه أننا حين نتحدث عن الآثار السيئة الناجمة عن إقرار العلاقة التلازمية بين الإيمان والعمل فإننا نعني بذلك التكفير.

والكلام في قضية التكفير هو فرع عن الكلام في قضية الإيمان والإسلام إذ إن التكفير هو ناتج من نواتج الفهم العقيم للعلاقة بين الإيمان والعمل، فإن الفرق والجماعات التي أدخلت مفهوم العمل في حقيقة الإيمان راحت ترمي بالكفر كل من قصر في عمل أو ارتكب ذنبا، الأمر الذي جعل الكفر مجاله رحبا وهذا قد أدى بدوره إلى تشويه صورة الإسلام في عيون الآخر، إذ أصبح الإسلام يظهر بمظهر الوحش الكاسر الذي يطلب دماء الآخرين ورقابهم أينما كانوا وحيثما حلوا لأبسط ذنب أو لمجرد التقصير في العمل.

بدعة قديمة وآثار سيئة

قضية التكفير ليست مستحدثة فقد نشأت قديما في أوساط بعض الفرق المغالية واتخذوا منها سلاحا يشهرونه في وجه المخالفين وفي الوقت ذاته كان التكفير حجة لهم في استحلال النفوس وإراقة الدماء، وقد كان التكفير سببا من أسباب انقسام الأمة ونزول كثير من المحن والبلايا بالإسلام والمسلمين الأمر الذي أدى إلى تخلف الأمة ورجوعها القهقري عن مكانتها وريادتها، يحدثنا عن

هذا الأثر في أحد مؤلفاته الماتعة التي ناقش فيها هذه القضية، أستاذنا الدكتور المراكبي فيقول: "من القضايا التي شغلت فكر المسلمين يوما ما، وأثارت جدلهم، بل وفرقت جمعهم، وحكمت السيف بينهم"(١).

ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن فرق الضلال والتكفير قديما وحديثا تقيم الأدلة على مذهبهم، لكنه وبالنظر في هذه الأدلة لا تجدها تخرج عن حالتين:

الحالة الأولى: أنها أدلة ظاهرية بمعنى أنهم يركنون إلى ظاهر النص أو اللفظ دون الرجوع إلى مراميه وغايته وسياقاته وأسباب نزوله وما إلى ذلك من الأمور التي تشكل معا جوهر النص وحقيقة اللفظ.

الحالة الثانية: أنهم يلجؤون إلى استخدام أخطر المبادئ في تعين المراد من اللفظ أو النص وهو مبدأ التأويل الفاسد ولا يلجأ إليه إلا صاحب هوى مفتئت على الشريعة ومقاصدها، يقول الإمام الشاطبي: "لَا تَجِدُ فِرْقَةً مِنَ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ وَلَا أَحَدًا مِنَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الْأَحْكَامِ لَا الْفُرُوعِيَّةِ وَلَا الْأُصُولِيَّةِ يَعْجِزُ عَنِ الِاسْتِدْلَالِ عَلَى مَذْهَبِهِ بِظَوَاهِرَ مِنَ الْأَدِلَّةِ، وَقَدْ مَرَّ مِنْ ذَلِكَ أَمْثِلَةٌ، بَلْ قَدْ شَاهَدْنَا وَرَأَيْنَا مِنَ الْفُسَّاقِ مَنْ يَسْتَدِلُّ عَلَى مَسَائِلِ الْفِسْقِ بِأَدِلَّةٍ يَنْسُبُهَا إِلَى الشَّرِيعَةِ الْمُنَزَّهَةِ، وَفِي كُتُبِ التَّوَارِيخِ وَالْأَخْبَارِ مِنْ ذَلِكَ أَطْرَافٌ مَا أَشْنَعَهَا فِي الِافْتِئَاتِ عَلَى الشَّرِيعَةِ"(٢).

---

(١) قضية التكفير والحكم على المسلمين بين التطرف والاعتدال: د. عبدالرحمن محمد المراكبي، صـ٤، طـ: المؤسسة العلمية الحديثة، شبين الكوم – القاهرة، طـ الأولى سنة ١٩٩٣م.

(٢) الموافقات في أصول الشريعة: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، أبي إسحاق الشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) تحقيق: وتعليق وشرح: الشيخ/ عبدالله دراز، جـ٣، صـ٥٤، طـ: دار الحديث – القاهرة، طـ سنة ١٤٢٧هـ/١٩٩٣م.

معنى ذلك أن القضية عند هذه الفرق وأمثالها لا تتعلق بالعقيدة من قريب أو بعيد وليست مسألة شرعية عندهم بل هي مسألة سياسية في المقام الأول يستخدمونها لقهر المخالفين في الرأي أو الفكر أو الانتماء.

خطورة التكفير:

أولا: خطره لا يتوقف عند الفرد بل يتعدى إلى الأمة

من خلال ما سبق نتبين أن التكفير مخاطره جمة ولا يتوقف خطره عند الأفراد بل إن خطره عام قد ينال من مفاصل الأمة كلها، ومن ثم فقد تضافرت أقوال العلماء النابهين على التحذير من إطلاق صيحات التكفير والتدليل على إن إيقاع الكفر على شخص ما قد يكون ضربا من المستحيل لا سيما إذا وضعنا في الحسبان الضوابط الشرعية الصحيحة للتكفير، وإن تضافر هذه الأقوال لعلمائنا الأفاضل المعتبرين يكاد يكون نوعا من الإجماع على حرمة التكفير، وعلى وجود نوع من الضوابط التي لا يجوز إغفالها أو غض النظر عنها، ومن ثم فقد انعقد إجماع العلماء على "أن من سبق له عقد الإسلام بيقين، لا يجوز إخراجه منه إلا بيقين مثله، فإن اليقين لا يزول بالظن – فضلا عن الشك والتوهم – وإنما يزول باليقين"(١).

وهذا يعني أن التكفير لا يسار إليه بالشك أو الذنب أو المعصية أو حتى بالقول، إنما فقط باليقين واليقين لا يخرج عن أحد أمرين، إما كفر صريح أو إنكار معلوم من الدين بالضرورة، وكلا الأمرين لابد أن يكونا عن حرية إرادة واختيار وبهذا يخرج المكره والمضطر والمتأول وما إلى ذلك، وهذا يلجؤنا إلى عدم التكفير يقول ابن حزم (رحمه الله) "وَأما من كفر النَّاس بِمَا تؤول إِلَيْهِ أَقْوَالهم

(١) قضية التكفير والحكم على المسلمين: د. عبدالرحمن محمد المراكبي، صـــ٤.

فخطأ لِأَنَّهُ كذب على الْخصم وتقويل لَهُ مَا لم يقل بِهِ وَإِن لزمَه فَلم يحصل على غير التَّنَاقُض فَقَط والتناقض لَيْسَ كفرا بل قد أحسن إِذْ فر من الْكفْر"(١)

ومن ثم ينبغي أن يعلم أن الكفر لا يسارع إليه لأن لفظة الكفر يدخل تحتها مفاهيم كثيرة يجب أن تعلم يقينا، فهناك الكفر الأكبر الذي يخرج عن الملة وهناك الكفر الأصغر الذي لا يخرج عن الملة، والأول – المخرج عن الملة – يتعلق بالقلب والمعتقد، وهذا لا يستطيعه أحد لأن استطلاعه لا يتيسر لأحد، والثاني – الغير مخرج عن الملة – يتعلق بكل ذنب أو إثم بعد الشرك بالله، ولذلك فإن كثيرا من ألفاظ الكفر التي وردت في القرآن الكريم هي من النوع الثاني، أما الآيات التي يحمل الكفر فيها على حقيقته الشرعية أو بمعناه الأول – الكفر العقدي – فإن الذين يرونها حجة ومتكئا لهم في إطلاق الكفر على غيرهم نقول لهم لقد جانبكم الصواب لأن هذه الآيات التي تمسكتم بها قد نزلت في أقوام كافرة وأنتم تطلقونها على المسلمين وقد بعدت الشقة بين هؤلاء وأولئك، وقد كان عبدالله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما)، يرى هؤلاء الذين يكثرون تكفير غيرهم شرار الخلق لأنهم أخطأوا في إنزال حكم الآيات في غير محلها وطبقوها على غير أهلها، أخرج الإمام البخاري في صحيحه "وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَرَاهُمْ شِرَارَ خَلْقِ اللَّهِ، وَقَالَ: إِنَّهُمُ انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي الكُفَّارِ، فَجَعَلُوهَا عَلَى المُؤْمِنِينَ"(٢).

---

(١) الفصل: ابن حزم، جـ٣، صـ١٣٩.

(٢) صحيح البخاري: جـ٩، صـ١٦، كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم.

ثانيا: القول بالتكفير فيه افتئات على حقوق الحكام والعلماء

مما يسترعي النظر في هذا القضية أن إطلاق الحكم بالتكفير على هذا وذاك فيه افتئات على الحاكم وأهل العلم المتخصصين لأن هذا الحق مكفول لهم وحدهم، وعند استلاب هذا الحق سيصبح المجتمع متشرذما متفرقا لا تراه إلا وقد تفشت فيه أمراض العصر المستعصية من الحقد والحسد والضغينة والكراهية، وستغيب روح التسامح والود والقيم الخلقية الإسلامية التي تبعث على التعاون والتناصر والتضامن، يقول الإمام الشوكاني ناعيا على الأمة ما تجنيه من ضرر التكفير وشيوعه في أوساطها وبين أبنائها "ها هنا تسكب العبرات ويناح على الإسلام وأهله بما جناه التعصب في الدين على غالب المسلمين من الترامي بالكفر لا لسنة ولا لقرآن ولا لبيان من الله ولا لبرهان بل لما غلت مراجل العصبية في الدين وتمكن الشيطان الرجيم من تفريق كلمة المسلمين لقنهم الزامات بعضهم لبعض بما هو شبيه الهباء في الهواء والسراب البقيعة فيا لله وللمسلمين من هذه الفاقرة التي هي من أعظم فواقر الدين والرزية التي ما رزىء بمثلها سبيل المؤمنين وأنت إن بقي فيك نصيب من عقل وبقية من مراقبة الله (ﷻ) وحصة من الغيرة الإسلامية قد علمت وعلم كل من له علم بهذا الدين أن النبي (ﷺ) سئل عن الإسلام، قال في بيان حقيقته وإيضاح مفهومه: أنه إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان وشهادة أن لا إله إلا الله، والأحاديث بهذا المعنى متواترة فمن جاء بهذه الأركان الخمسة وقام بها حق القيام فهو المسلم على رغم أنف من أبى ذلك كائنا من كان فمن جاءك بما يخالف هذا من ساقط القول وزائف العلم بل الجهل فاضرب به في وجهه وقل له قد تقدم هذيانك هذا برهان محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه(١).

---

(١) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) صـ٩٨١، طـ: دار ابن حزم، طـ الأولى، بدون تاريخ.

ثالثا: القول بالتكفير فيه افتئات على حق هو لله (ﷻ)

كما يفتئت المكفرون على حقوق الحكام والعلماء كذلك فإنهم يفتئتون على حق لله – سبحانه – من حيث يحكمون على البواطن والبواطن موكول أمرها الله، الأمر الذي يدفعنا إلى أن نربط بين ما نقوله من حرمة التكفير وبين ما أشرنا إليه قبل ذلك في مسألة الإيمان في كونه عقيدة محلها القلب لا يتيسر لأحد الاطلاع عليه.

لذلك ترى الإمام القرطبي يقول في تفسير قول الله تعالى: **{وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا}** [النساء: ٩٤] "أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا – يستدل بتعنيف النبي (ﷺ) لأسامة لما قتل رجلا بعد ان نطق بالشهادة– أي تنظر أصادق هو في قوله أم كاذب ؟ وذلك لا يمكن فلم يبق إلا أن يبين عنه لسانه، وفي هذا من الفقه باب عظيم، وهو أن الأحكام تناط بالمظان والظواهر لا على القطع واطلاع السرائر.. والله لم يجعل لعباده غير الحكم بالظاهر"(١).

ومن ثم فإن الحكم على بواطن الناس أمر مرفوض حتى عند صدور قول ينافي العقيدة فإننا لا نسارع بحمله على الكفر بل نحاول تأويله ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، يقول الشيخ محمد عبده: "اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعد

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: هشام سمير البخاري، جـ٥، صـ٣٣٩، ٣٤٠ بتصرف بسيط، طـ: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، طـ ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

أحكام دينهم، أنه إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مآئة وجه، ويحتمل الإيمان من وجه واحد، حمل على الإيمان ولا يجوز حمله على الكفر"(١) وقد عد الإمام محمد عبده البعد عن التكفير أصلا من أصول الإسلام.

رابعا: القول بالتكفير يترتب عليه بعض الأحكام

لو يعلم من يكفر الناس جريرة هذا التكفير لما أقدم عليه إذ إن أول حكم يترتب على التكفير قد يلحق المكفر نفسه من حيث استحقاقه هو للتكفير، وهذا يُعلم من حديث النبي (ﷺ) الذي أخرجه الإمام أبوداود في سننه بسنده عن ابن عمر (رضي الله عنه) قال: قال رسولُ الله (ﷺ) "أيُّما رَجلٍ مسلمٍ أكفَرَ رَجُلاً مسلماً: فإن كان كافراً، وإلا كان هو الكافرَ"(٢).

كذلك من الأحكام المترتبة على الكفر أن الكافر – حقا – تبين منه زوجته وذلك لاختلاف الدين.

ومن الأحكام المترتبة على الكفر أنه يمنع الميراث لأن اختلاف الدين من موانع الإرث.

ومن أحكامه أيضا أن الكافر يحبط عمله، ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين.

لك أن تتخيل أن هذه الأحكام – وغيرها كثير – المنوطة بالكافر إذا طبقت على إنسان وهو براء من الكفر، لمجرد أن هؤلاء المتشددين يغالون في إطلاق

---

(١) الإسلام بين العلم والمدنية: الشيخ/ محمد عبده، صـ٧٩، طـ: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة، بدون تاريخ.

(٢) سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ): شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، جـ٧، صـ٧٤، طـ: دار الرسالة العالمية، طـ الأولى سنة ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

الكفر على الناس أخذا بظواهر الأمور، لك أن تتخيل مجتمعا استشرت فيه هذه الظاهرة على هذا النحو وبهذا الشكل فإنه يصبح مجتمعا مفككا وممزقا قد امتلأ بالفرقة والبغضاء والشحناء يهدر بعضه دماء بعض، وبهذا يكون المجتمع المسلم قد فرط في أخص خصائه، الوحدة والاعتصام بحبل الله قال تعالى: **{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}** [آل عمران: ١٠٣] وينهانا ربنا عن الفرقة والاختلاف فيقول: **{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}** [آل عمران: ١٠٥].

تضافر النصوص والأقوال التي تحذر من التكفير

بالنظر إلى ما سبق – وهو غيض من فيض – يتبين لنا أن التكفير يعصف بوحدة الأمة الإسلامية ويفت عضدها ويذهب بقوتها، ويحول المجتمع من مجتمع آمن مستقر مطمئن إلى مجتمع تشوبه القلاقل والانحرافات والاضطرابات، لهذا وغيره تجد كثرة كاثرة من النصوص القرآنية والنبوية ومن أقوال النابهين من العلماء، تحذر من الوقوع في براثن التكفير، وفي الوقت ذاته تنبه إلى خطره.

القرآن الكريم يحذر من التكفير

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [النساء: ٩٤]

في تفسير هذه الآية يقول الإمام القرطبي: "وفي هذا من الفقه باب عظيم، وهو أن الأحكام تناط بالمظان والظواهر لا على القطع واطلاع السرائر.. والله لم يجعل لعباده غير الحكم بالظاهر"(١).

(١) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، جـ٥، صـ٣٣٩، ٣٤٠ بتصرف بسيط.

السنة النبوية تحذر من التكفير

قال النبي (ﷺ) "لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالفُسُوقِ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالكُفْرِ، إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ"(١).

في تعليقه على لفظة هذا الحديث وما يشبهه في المعنى من الأحاديث الواردة في السياق ذاته التي تحذر من التكفير، يقول الحافظ بن حجر: "وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ الْحَدِيثَ سِيقَ لِزَجْرِ الْمُسْلِمِ عَنْ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ .. وَقِيلَ مَعْنَاهُ رَجَعَتْ عَلَيْهِ نَقِيصَتُهُ لِأَخِيهِ وَمَعْصِيَةُ تَكْفِيرِهِ .. فَمَعْنَى الْحَدِيثِ فَقَدْ رَجَعَ عَلَيْهِ تَكْفِيرُهُ فَالرَّاجِعُ التَّكْفِيرُ لَا الْكُفْرُ فَكَأَنَّهُ كَفَّرَ نَفْسَهُ لِكَوْنِهِ كَفَّرَ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ وَمَنْ لَا يُكَفِّرُهُ إِلَّا كَافِرٌ يَعْتَقِدُ بُطْلَانَ دِينِ الْإِسْلَامِ"(٢).

ومعنى ارتدت عليه، أن لفظة التكفير ترجع على من أطلقها لا على من أطلقت عليه.

وتشتد صيحة التحذير من النبي (ﷺ) حين ينبه إلى أن خطر رمي المؤمن بالتكفير تساوي جريمة قتله فهما جريمتان سواء بسواء، أخرج الإمام الطبراني أن النبي (ﷺ) قال: "مَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ"(٣).

ولا تزال التحذيرات النبوية تتوالى بشأن خطورة التكفير فيقول النبي (ﷺ) فيما أخرجه ابن حبان في صحيحه بسنده عن حذيفة (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) "إِنَّ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ حَتَّى إِذَا رُئِيَتْ بَهْجَتُهُ عَلَيْهِ،

---

(١) صحيح البخاري، جـ٨، صـ١٥، كتاب: الأدب، باب: ما ينهى من السباب واللعن.

(٢) فتح الباري: ابن حجر، جـ١٠، صـ٤٦٦.

(٣) المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، جـ٢٢، صـ١٧٧، طـ: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، طـ الثانية، بدون تاريخ.

وَكَانَ رِدْئًا لِلْإِسْلَامِ، غَيَّرَهُ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ، فَانْسَلَخَ مِنْهُ وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَسَعَى عَلَى جَارِهِ بِالسَّيْفِ، وَرَمَاهُ بِالشِّرْكِ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَيُّهُمَا أَوْلَى بِالشِّرْكِ، الْمَرْمِيُّ أَمِ الرَّامِي؟ قَالَ: بَلِ الرَّامِي"(١).

ونظرا لخطورة التكفير وعظم جرمه فإن التحذيرات النبوية منه لم تكن وقفا على هذه الأمة وحدها ولم تكن إنشاءً من النبي لأمته فقط، بل إن النبي (ﷺ) يعطينا الأمثلة والنماذج التي تدلنا على أن التكفير خطره داهم وشره مستطير وذلك من خلال بيان النهي الإلهي عنه في الأمم الأخرى، أخرج الإمام أحمد في مسنده "حدثنا أبو عامر ثنا عكرمة بن عمار عن ضمضم بن جوس اليمامي قال قال لي أبو هريرة يا يمامي لا تقولن لرجل والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة أبدًا قلت يا أبا هريرة إن هذه لكلمة يقولها أحدنا لأخيه وصاحبه إذا غضب قال فلا تقلها فإني سمعت النبي (ﷺ) يقول: كان في بني إسرائيل رجلان كان أحدهما مجتهدًا في العبادة وكان الآخر مسرفًا على نفسه، فكانا متآخيين فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب فيقول يا هذا أقصر فيقول خلني وربي أبعثت عليّ رقيبًا، قال إلى أن رآه يومًا على ذنب استعظمه فقال له ويحك أقصر قال خلني وربي أبعثت عليّ رقيبًا، قال فقال والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة أبدًا قال أحدهما قال فبعث الله إليهما ملكًا فقبض أرواحهما واجتمعا عنده فقال للمذنب اذهب فأدخل الجنة برحمتي وقال للآخر

(١) صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، جـ١، صـ٢٨١، كتاب: العلم، باب: الزَّجْرِ عَنْ كِتْبَةِ الْمَرْءِ السُّنَنَ مَخَافَةَ أَنْ يَتَّكِلَ عَلَيْهَا دُونَ الْحِفْظِ لَهَا، ذِكْرُ مَا كَانَ يَتَخَوَّفُ (ﷺ) عَلَى أُمَّتِهِ جِدَالَ الْمُنَافِقِ، طـ: مؤسسة الرسالة – بيروت، طـ الثانية سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

أكنت في عالمًا أكنت على ما في يدي خازنًا اذهبوا به إلى النار، قال فوالذي نفس أبي القاسم بيده لتكلم بالكلمة أوبقت دنياه وآخرته"(١).

العلماء يحذرون من التكفير

تضافرت أقوال النابهين من العلماء على التحذير من فتنة التكفير والتنبيه بشأن خطره.

يقول الإمام الأشعري (رضي الله عنه): "وندين بأن لا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنا والسرقة وشرب الخمر كما دانت بذلك الخوارج وزعموا أنهم بذلك كافرون"(٢).

وإن تسمية الإمام أبو الحسن الأشعري لعمدة كتبه المقالات ووصف هذه المقالات بأنها مقالات الإسلاميين على ما فيها من جميع مقالات الفرق الغالية وغيرها، وبالرغم ما بين هذه الفرق وبعضها من المشاحنات والاختلافات، إلا إنه يضرب بهذا المثل الأعلى في التسامح والدعوة إليه ونبذ الفرقة والاختلاف وطرح فتنة التكفير جانبا، يقول في هذا الكتاب: "اختلف الناس بعد نبيهم صلى الله عليه و سلم في أشياء كثيرة ضلل فيها بعضهم بعضا وبرئ بعضهم من بعض فصاروا فرقا متباينين وأحزابا متشتتين إلا أن الإسلام يجمعهم ويشتمل عليهم"(٣).

ونقل ابن عساكر أن الإمام الأشعري لما حضرته الوفاة قال لأحد تلامذته: "أشهد على أَنِّي لَا أكفر أحدا من أهل هَذِهِ الْقبْلَة لِأَن الْكل يشيرون إِلَى معبود وَاحِد وَإِنَّمَا هَذَا كُله اخْتِلَاف الْعبارَات"(٤).

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: جـ٨، صـ٢٦٧.

(٢) الإبانة: الأشعري، صـ٤٨، وانظر: تبيين كذب المفتري: ابن عساكر، صـ١٦٠.

(٣) مقالات الإسلاميين: الأشعري، صـ١، ٢.

(٤) تبيين كذب المفتري: ابن عساكر، صـ١٤٩.

ويقول الإمام الطحاوي: "وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ"(١).

ويقول الإمام الرازي: "والذي نختاره ألا نكفر أحدا من أهل القبلة"(٢).

كما أنه نقل عن كثير من علماء المتكلمين والفقهاء والمتصوفة كالأشعري وأبي إسحاق الإسفراييني والشافعي وأبي حنيفة والكرخي هذا المذهب في البعد عن تكفير أحد من أهل القبلة(٣).

كما حكى أيضا إجماع جمهور المتكلمين والفقهاء على عدم تكفير أحد من أهل القبلة، الإمام الإيجي فيقول: "جمهور المتكلمين والفقهاء على أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة"(٤).

(١) شرح الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي، صـــ٢٤١، وقد كرر الشيخ الطحاوي هذا المعنى الذي تحمله هذه العبارة ورردده على صحائف كتابه في أكثر من موضع انظر: صـــ٢٠٤، صـــ٢١٢

(٢) نهاية العقول في دراية الأصول: الإمام/ فخر الدين محمد بن عمر الرازي (٥٤٣ – ٦٠٦هـــ) تحقيق: د. سعيد عبداللطيف فودة، جـــ٤، صـــ٢٨٠، طـــ: دار الذخائر، بيروت – لبنان، طـــ الأولى سنة ١٤٣٦هـــ/٢٠١٥م.

(٣) نهاية العقول: الرازي، جـــ٤، صـــ٢٧٩، ٢٨٠.

(٤) المواقف: الإيجي، جـــ٣، صـــ٥٦٠.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتحقق الأمنيات، أسأله سبحانه أن يختم أعمالنا بالرضا ويتوجها بالقبول.

وبعد،،

من خلال ما سبق وبعد التطواف في مباحث هذه الدراسة، حط قلمي رحالـــه متوصلا إلى النتائج التالية:

أولا: معظم آراء الفرق في هذه المسألة كانت تدور بين طرفي إما إفراط وإما تفريط، يتمثل الإفراط في رأي الخوارج الذين عقدوا علاقة تلازمية بين العمل والإيمان وقرروا أن العمل شطر الإيمان فإذا فقد العمل فقد الإيمان، ولا يخفى أن تطبيق مثل هذا المذهب يترتب عليه خروج كثير من الناس من ربقة الإيمان، باعتبار تساوي الذنوب، فلا فرق عندهم بين كبيرة وصغيرة، فالكل مخرج من الإيمان.

ثانيا: الرأي الذي يمثل جانب التفريط هو رأي المرجئة الذي رأى أن العلاقة بين الإيمان والعمل علاقة منفكة الجهة، ولا يخفى ما لهذا الرأي من خطورة إذ فيه تمييع الدين، لما يترتب على هذا الرأي من المساواة في الإيمان بين جميع الناس طائعهم وعاصيهم وبرهم وفاجرهم، ناهيك عما فيه من دعوة خفية لإحداث المعاصي إذ إنها بهذا الاعتبار لا تقدح في الإيمان ولا تؤثر فيه.

ثالثا: ثمة تقارب كبير بين السلف والأشاعرة في مسألة العلاقة بين العمل والإيمان، فكما يرى الأشاعرة أن العلاقة بينهما ليست تلازمية وأن العمل يمثل شرطا وليس شطرا، كذلك ذهب السلف إلى أن العمل يمثل شرط كمال للإيمان وليس شرط صحة له.

رابعا: الفارق بين السلف والأشاعرة في هذه المسألة والذي ينبني عليه تقرير وسطية المذهب الأشعري يتأتى من عدة أمور هي:

١- **أن السلف قرروا أن الإيمان له مكونات ثلاث:** الاعتقاد – الإقرار – العمل، ثم قرروا منزلة العمل من الإيمان بكونه شرط كمال حتى لا يتشابهون مع الخوارج في إقرار العلاقة التلازمية بين الإيمان والعمل، وإلا لم يكن ثمة فارق بين السلف والخوارج.

أما الأشاعرة حين تكلموا عن حقيقة الإيمان ومفهومه، تراهم يعتمدون اعتمادا كبيرا على الناحية اللغوية ومن ثم أرجعوا معنى الإيمان إلى أصله اللغوي اللساني وهو التصديق، لذلك كانت الحقيقة الأولى والجوهرية للإيمان عند الأشاعرة تعني التصديق فقط، ولم يدخلوا العمل والإقرار كمكونات له كما كان الحال عند الخوارج والسلف، لكنهم تحدثوا عن العمل من ناحية منزلته من الإيمان.

٢- ثمة فارق آخر بين السلف والأشاعرة يجعل من رأي الأشاعرة يمثل رأيا وسطا في المسألة، وهذا الفارق يتمثل في أتباع كلا المذهبين، فأتباع الأشاعرة أو جلهم التزموا رأيا واحدا فيما يتعلق بحقيقة الإيمان من حيث كونه يعني التصديق، وكذلك التزموا رأيا واحدا فيما يتعلق بمنزلة العمل من الإيمان من حيث كونه شرط كمال له.

بينما في المقابل ترى المنتسبين إلى مذهب السلف لم يلتزموا رأي السلف – الذين ادعوا الانتساب إليهم – فيما يتعلق بحقيقة الإيمان ولا فيما يتعلق بعلاقة العمل بالإيمان.

أما فيما يتعلق بحقيقة الإيمان فترى هؤلاء الأتباع يقرنون بين مكونات الإيمان التي قال بها السلف وهي: الاعتقاد – الإقرار – العمل، على ما قال به

الخوارج من حيث كونها حقيقة واحدة لا تقبل الانفصام فإن ضاع الجزء ضاع الكل.

وفيما يتعلق بعلاقة العمل بالإيمان، فإن التزامهم حقيقة الإيمان على منهج الخوارج أدى بهم إلى المذهب ذاته في العلاقة بين العمل والإيمان، من حيث إقرار العلاقة التلازمية بينهما.

كل هذا الأمور تجعل من مذهب الأشاعرة فيما يتعلق بحقيقة الإيمان وما يتعلق بالعلاقة بين العمل والإيمان يمثل الرأي الوسط، وهذه الوسطية منبعها ومصدرها أن الأشاعرة التزموا رأيا واحدا في المسألة محل البحث بدءا من مؤسس المذهب ومن جاء بعده من رجالات المذهب الأشعري.

٣- من ناحية أخرى نرى أن رأي الأشاعرة في مسألة علاقة العمل بالإيمان يمثل الرأي الوسط من بين كل الآراء في هذه المسألة وذلك بالنظر إلى جوهر التصديق الذي قال به الشاعرة وكونه يمثل حقيقة الإيمان عندهم، والتصديق الذي قالوا به يعني التصديق القلبي.

التصديق أمر قلبي لا يطلع عليه الناس إنما فقط رب الناس وإلا ما كان الله قال لنبيه: {**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ**} فهو وحده الذي أخبر عن عدم صدق هؤلاء لأن الإيمان بمعنى التصديق لم يخالط قلوبهم، ويقول أيضا: {**مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْأِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**} فهذه الآيات الكريمة وغيرها تجعل الإيمان شأنا من شؤون القلب، وغايته التصديق الجازم.

يضرب لنا النبي (ﷺ) مثالا عمليا على ذلك، حين عنف أسامة بن زيد لما جعل الباطن ميزانه في الحكم على الناس، وبين لنا النبي (ﷺ) من خلال تعنيفه

لأسامة أن هذا ميزان غير صائب، فالحكم إنما يجري على الظواهر دون البواطن.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أسامة بن زيد قال: "بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ) فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ (ﷺ)، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَقَتَلْتَهُ؟ "قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ، قَالَ: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟ "فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: فَقَالَ سَعْدٌ: وَأَنَا وَاللهِ لَا أَقْتُلُ مُسْلِمًا حَتَّى يَقْتُلَهُ ذُو الْبُطَيْنِ يَعْنِي أُسَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}** [الأنفال: ٣٩]؟ فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ قَاتَلْنَا حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَأَنْتَ وَأَصْحَابُكَ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ"(١)، وفي شرحه لهذا الحديث يقول الإمام البغوي: "وَفِي قَوْلِهِ: «هَلا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ؟"دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْحُكْمَ إِنَّمَا يَجْرِي عَلَى الظَّاهِرِ، وَأَنَّ السَّرَائِرَ مَوْكُولَةٌ إِلَى اللَّهِ (ﷻ)"(٢).

ويؤيد هذا حديث النبي (ﷺ) الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: "قَالَ جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (ﷺ)، فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟ "قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»"(٣).

---

(١) صحيح مسلم: جـ١، صـ٩٦، كتاب: الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله.

(٢) شرح السنة: البغوي، جـ١٠، صـ٢٤٣.

(٣) صحيح مسلم: جـ١، صـ١١٩، كتاب الإيمان، باب: بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها.

في هذا الحديث نلحظ ربط النبي (ﷺ) بين ما يحدث في خلجات القلب من الأعمال الباطنة التي لا يطلع عليها أحد إلا ذات الشخص وبين الإيمان مما يدل على أن الإيمان بمعنى التصديق محله القلب، وقد سماه صريح الإيمان.

خامسا: إدراج العمل كركن من أركان الإيمان وإقرار العلاقة التلازمية بينهما يترتب عليه أمر خطير وهو تكفير تارك العمل.

سادسا: التكفير آفة خطيرة فيه هدم للمجتمع، ومن ثم تضافرت نصوص القرآن والسنة وأقوال العلماء للتحذير منه.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أهل الصدق والوفاء صلاة دائمة ما تبسم فجر فأتحف الجو بالضياء وانقشع هجر فطاب الود والصفاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

١- **الإبانة عن أصول الديانة:** الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: بشير محمد عيون، طـــ: مكتبة دار البيان – سوريا، مكتبة المؤيد – السعودية، طـــ الثالثة سنة ١٤١١هـــ/١٩٩٠م.

٢- **أبكار الأفكار في أصول الدين:** الإمام: سيف الدين الآمدي المتوفى سنة ٦٣١هـــ، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، طـــ: دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة، طـــ الثانية سنة ١٤٢٤هـــ/٢٠٠٤م.

٣- **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد:** إمام الحرمين الجويني، تحقيق وتعليق وتقديم: د. محمد يوسف موسى، علي عبدالمنعم عبدالحميد، طـــ: مكتبة الخانجي – القاهرة، مكتبة المثنى – بغداد، طـــ سنة ١٣٦٩هـــ/١٩٥٠م.

٤- **الإسلام بين العلم والمدنية:** الشيخ/ محمد عبده، طـــ: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة، بدون تاريخ.

٥- **أصول الدين:** أبي منصور عبدالقاهر بن طاهر التميمي البغدادي (ت ٤٢٩هـــ) طـــ: مدرسة الإلهيات، تركيا – استانبول، طـــ الأولى سنة ١٣٤٦هـــ/١٩٢٨م.

٦- **أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري):** أبوسليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـــ) تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، طـــ: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي) طـــ الأولى سنة ١٤٠٩ هـــ/١٩٨٨م،

٧- **إكمال الأعلام بتثليث الكلام:** محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، ٥٩٨هـ/٦٧٢هـ، تحقيق سعد بن حمدان الغامدي، الناشر جامعة أم القرى، مكة المكرمة - المملكة السعودية، سنة النشر ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٨- **الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد:** أبي الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي: مع مقدمة وتحقيق وتعليقات للدكتور/ نيبرج، ط مكتبة الدار العربية، القاهرة، مطبعة أوراق شرقية، بيروت، ط٢ سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٩- **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به:** القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني البصري (ت: ٤٠٣هـ) تحقيق وتعليق وتقديم: محمد زاهد الكوثري، طـ: المكتبة الأزهرية للتراث، طـ الثانية سنة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٠- **الإيمان:** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) طـ: المكتب الإسلامي، عمان - الأردن، طـ الخامسة سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١١- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام:** شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق: د.عمر عبد السلام تدمري، طـ: دار الكتاب العربي، لبنان - بيروت، طـ الأولى سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

١٢- **تاريخ الفرق الإسلامية السياسي والديني الخوارج والمرجئة:** د. محمد إبراهيم الفيومي، طـ: دار الفكر العربي - القاهرة، طـ الأولى سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

١٣- **تاريخ المذاهب الإسلامية:** الشيخ/ محمد أبوزهرة، طـــ: دار الفكر العربي – بدون تاريخ.
١٤- **تاريخ بغداد:** أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـــ) دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، طـــ: دار الكتب العلمية – بيروت، طـــ الأولى سنة ١٤١٧هـــ.
١٥- **تاريخ دمشق:** أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـــ) تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، طـــ: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طـــ سنة ١٤١٥هـــ/١٩٩٥م.
١٦- **تبصرة الأدلة في أصول الدين:** أبي المعين ميمون بن محمد النسفي الماتريدي ت٥٠٨هـــ، تحقيق وتعليق: د. محمد الأنور حامد عيسى، طـــ: المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة، طـــ الأولى سنة ٢٠١١م.
١٧- **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين:** طاهر بن محمد الأسفراييني أبو المظفر (ت: ٤٧١هـــ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، طـــ: عالم الكتب – لبنان، طـــ الأولى سنة ١٤٠٣هـــ/١٩٨٣م.
١٨- **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري:** ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـــ) طـــ: دار الكتاب العربي – بيروت، طـــ الثالثة سنة ١٤٠٤هـــ.
١٩- **تحفة المريد:** الشيخ/ إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي البيجوري (ت: ١٢٧٧هـــ) في شرح جوهرة التوحيد للعلامة الشيخ برهان الدين إبراهيم بن حسن اللقاني (ت: ١٠٤١هـــ) ضبط وتصحيح: عبدالله محمد الخليلي، طـــ: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، طـــ الثانية سنة ١٤٢٤هـــ/٢٠٠٤م.

٢٠- **تعظيم قدر الصلاة:** أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: ٢٩٤هـ) تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، طـ مكتبة الدار – المدينة المنورة، طـ الأولى سنة ١٤٠٦هـ.

٢١- **تفسير القرآن:** أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، طـ: دار الوطن، الرياض – السعودية، طـ الأولى سنة ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٢- **تفسير القرآن العظيم (ابن كثير):** أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، طـ: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، طـ الأولى سنة ١٤١٩هـ.

٢٣- **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة):** محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) تحقيق: د. مجدي باسلوم، طـ: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، طـ الأولى سنة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٢٤- **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل:** القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣هـ، تحقيق: الشيخ/ عماد الدين أحمد حيدر، طـ: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، طـ الأولى سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٥- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد:** أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، طـ: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، طـ سنة ١٣٨٧هـ.

٢٦- **تهذيب اللغة:** محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، طـ: دار إحياء التراث العربي – بيروت، طـ الأولى سنة ٢٠٠١م.

٢٧- **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم:** زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، طـ: مؤسسة الرسالة – بيروت، طـ السابعة سنة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢٨- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه = صحيح البخاري:** محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق، طـ: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، طـ الأولى سنة ١٤٢٢هـ.

٢٩- **الجامع لأحكام القرآن:** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ) تحقيق: هشام سمير البخاري، طـ: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، طـ ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٣م.

٣٠- **الجامع لعلوم الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل – العقيدة:** تأليف: خالد الرباط، سيد عزت عيد، محمد أحمد عبد التواب، طـ: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم – جمهورية مصر العربية، طـ الأولى سنة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٣١- **حاشية الشيخ اسماعيل الكلنبوى** (ت: ١٢٠٥هـ) على شرح الجلال الدوانى (ت: ٩١٨هـ) على العقائد العضدية، ط المطبعة العثمانية، طـ سنة ١٣١٦هـ.

٣٢- **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة:** إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ) تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، طـ: دار الراية – السعودية – الرياض، طـ الثانية سنة ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٣٣- **خطورة التكفير:** أد. أحمد الطيب، ورقة بحثية لمؤتمر الأزهر العالمي لمواجهة التطرف والإرهاب (القاهرة ١١- ١٢ صفر ١٤٣٦هـ/ ٣- ٤ ديسمبر ٢٠١٤م) باعتناء وتصدير فضيلة شيخ الأزهر: أد. أحمد الطيب، طـ: دار القدس العربي – القاهرة، طـ الأولى سنة ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٣٤- **الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان:** د. محمد عبدالله دراز، طـ: دار القلم، الكويت، بدون تاريخ.

٣٥- **رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب:** أبوالحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ) تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، طـ: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، طـ سنة ١٤١٣هـ.

٣٦- **سنن ابن ماجه:** ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، طـ: دار الرسالة العالمية، طـ الأولى سنة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٣٧- **سنن أبي داود:** أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ): شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، طـ: دار الرسالة العالمية، طـ الأولى سنة ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٣٨- **السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار:** محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) طـ: دار ابن حزم، طـ الأولى، بدون تاريخ.

٣٩- **شرح الأصول الخمسة:** قاضي القضاة/ عبدالجبار بن أحمد (ت: ٤١٥هـ) تصدير: د. أحمد فؤاد الأهواني، تعليق: الإمام/ أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، حققه وقدم له ك د. عبدالكريم عثمان، طـ: مكتبة وهبة - القاهرة، طـ الثالثة سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٤٠- **شرح السنة:** محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمد زهير الشاويش، طـ: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، طـ الثانية سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤١- **شرح الطحاوية في العقيدة السلفية:** ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طـ: وكالة الطباعة والترجمة في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- بدون تاريخ.

٤٢- **شرح المقاصد:** الإمام / مسعود بن عمر بن عبدالله الشهير بسعد الدين التفتازاني ٧١٢هـ-٧٩٣هـ، تحقيق وتعليق: د. عبدالرحمن عميرة، تصدير: الشيخ/ صالح موسى شرف، طـ: عالم الكتب، بيروت - لبنان، طـ الثانية سنة ١٤٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٤٣- **شرح المواقف:** السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفي سنة٨١٦هـ، ضبطه وصححه: محمود عمر الدمياطي، طـ: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، طـ الأولى سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٤٤- **صحيح ابن حبان:** محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، طـ: مؤسسة الرسالة – بيروت، طـ الثانية سنة ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٤٥- **طبقات الشافعية الكبرى:** تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) تحقيق: د.محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، طـ: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، طـ الثانية سنة ١٤١٣هـ.

٤٦- **العقدية النظامية في الأركان الإسلامية:** أبي المعالي عبدالملك ابن عبدالله بن يوسف الجويني (ت: ٤٧٨هـ) تحقيق وتعليق: محمد زاهد الكوثري، طـ: المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة، طـ سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٤٧- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري:** أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، طـ: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.

٤٨- **غرائب التفسير وعجائب التأويل:** محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ)، طـ: دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت، بدون تاريخ.

٤٩- **فتح الباري:** زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن

محمد، طـــ: دار ابن الجوزي، السعودية – الدمام، طـــ الثانية سنة ١٤٢٢هـــ.

٥٠- **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، طـــ: دار المعرفة – بيروت، طـــ سنة ١٣٧٩هـــ.

٥١- **فجر الإسلام:** أحمد أمين، طـــ: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، طـــ العاشرة سنة ١٩٦٩م.

٥٢- **الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة:** د. علي عبدالفتاح المغربي، طـــ: مكتبة وهبة – القاهرة، طـــ الثانية سنة ١٤١٥هـــ/١٩٩٥م.

٥٣- **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية:** عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الإسفراييني أبو منصور(ت: ٤٢٩هـــ) طـــ: دار الآفاق الجديدة – بيروت، طـــ الثانية سنة ١٩٧٧م.

٥٤- **الفصل في الملل والأهواء والنحل:** أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، ت: ٤٥٦هـــ، طـــ: مكتبة الخانجي – القاهرة، بدون تاريخ.

٥٥- **الفصل في الملل والأهواء والنحل:** أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـــ)، طـــ: مكتبة الخانجي – القاهرة، بدون تاريخ.

٥٦- **فيض الباري على صحيح البخاري:** (أمالي) محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي (المتوفى: ١٣٥٣هـــ) تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، طـــ: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، طـــ الأولى سنة ١٤٢٦هـــ / ٢٠٠٥م.

٥٧- **قضية التكفير والحكم على المسلمين بين التطرف والاعتدال:** د. عبدالرحمن محمد المراكبي، طـــ: المؤسسة العلمية الحديثة، شبين الكوم – القاهرة، طـــ الأولى سنة ١٩٩٣م.

٥٨- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـــ) طـــ: دار صادر – بيروت، طـــ الثالثة سنة ١٤١٤ هـــ

٥٩- **اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع:** أبوالحسن الأشعري (ت: ٣٣٠هـــ) صححه وقدم له وعلق عليه: د. حموده غرابه، طـــ: مطبعة مصر، طـــ سنة ١٩٥٥م.

٦٠- **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية:** شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـــ)، طـــ: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، طـــ الثانية سنة ١٤٠٢هـــ – ١٩٨٢م.

٦١- **مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري: إملاء:** الشيخ الإمام/ أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك المتوفى سنة ٤٠٦هـــ، عني بتحقيقه: دانيال جيماريه، طـــ: دار المشرق، بيروت – لبنان، طـــ سنة ١٩٨٧م.

٦٢- **المحيط في اللغة:** الصاحب الكافي الكفاة أب القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، طـــ: عالم الكتب، بيروت – لبنان، طـــ الأولى سنة ١٤١٤هـــ/ ١٩٩٤م.

٦٣- **مسائل الإيمان:** القاضي أبويعلى، دراسة وتحقيق وتعليق: سعود بن عبدالعزيز الخلف، طـــ: دار العاصمة – الرياض، طـــ الأولى سنة ١٤١٠هـــ.

٦٤- **مسند أبي يعلى:** أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، طـــ: دار المأمون للتراث – دمشق، طـــ الأولى سنة ١٤٠٤هـــ/ ١٩٨٤م.

٦٥- **مسند الإمام أحمد بن حنبل:** أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـــ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، طـــ: دار الحديث – القاهرة، طـــ الأولى سنة ١٤١٦هـــ /١٩٩٥ م.

٦٦- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ):** مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـــ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طـــ: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.

٦٧- **معالم أصول الدين:** أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـــ) تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، طـــ: دار الكتاب العربي – لبنان، بدون تاريخ.

٦٨- **المعتمد في أصول الدين:** القاضي أبويعلى الحنبلي، تحقيق: د. وديع زيدان حداد، طـــ: دار المشرق، بيروت – لبنان، طـــ سنة١٩٨٦م.

٦٩- **المعجم الكبير:** سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـــ) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، طـــ: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، طـــ الثانية، بدون تاريخ.

٧٠- **معجم مقاييس اللغة:** أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طـــ: دار الفكر، طـــ ١٣٩٩هـــ/١٩٧٩م.

٧١- **معنى الإيمان والإسلام أو الفرق بين الإيمان والإسلام:** عزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي (المتوفى سنة ٦٦٠هـــ) تحقيق: إياد

خالد الطباع، طـــ: دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سورية، طـــ الأولى سنة ١٤١٣هـــ/١٩٩٢م.

٧٢- **المفردات في غريب القرآن:** أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـــ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي، طـــ: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، طـــ الأولى سنة ١٤١٢هـــ.

٧٣- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين:** علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، تحقيق: هلموت ريتر، طـــ: دار إحياء التراث العربي – بيروت، طـــ الثالثة، بدون تاريخ.

٧٤- **الملل والنحل:** أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـــ) طـــ: مؤسسة الحلبي – بدون تاريخ.

٧٥- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج:** أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـــ) طـــ: دار إحياء التراث العربي – بيروت، طـــ الثانية سنة ١٣٩٢هـــ.

٧٦- **الموافقات في أصول الشريعة:** إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، أبي إسحاق الشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـــ) تحقيق: وتعليق وشرح: الشيخ/ عبدالله دراز، طـــ: دار الحديث – القاهرة، طـــ سنة ١٤٢٧هـــ/١٩٩٣م.

٧٧- **المواقف:** عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة، طـــ: دار الجيل – بيروت، طـــ الأولى سنة ١٩٩٧م

٧٨- **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية:** د. عبدالمنعم الحفني، طـــ: دار الرشاد – القاهرة، طـــ الأولى سنة١٤١٣هـــ/١٩٩٣م.

٧٩- **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم:** محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، طـ: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، طـ الأولى سنة ١٩٩٦م.

٨٠- **نهاية العقول في دراية الأصول:** الإمام/ فخر الدين محمد بن عمر الرازي (٥٤٣ – ٦٠٦هـ) تحقيق: د. سعيد عبداللطيف فودة، طـ: دار الذخائر، بيروت – لبنان، طـ الأولى سنة ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٨١- **النهاية في غريب الحديث والأثر:** مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، طـ: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٨٢- **الوافي بالوفيات:** صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، طـ: دار إحياء التراث – بيروت، طـ سنة١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص باللغة العربية	١١٥٥
الملخص باللغة الإنجليزية	١١٥٧
المقدمة	١١٥٩
التمهيد: الإيمان والإسلام لغويا واصطلاحيا	١١٦٣
المبحث الأول: الاتجاهات في بيان علاقة الإيمان بالإسلام	١١٦٩
المبحث الثاني: رأي بعض الفرق من غير الأشاعرة في مفهـوم الإيمان	١١٨٣
المبحث الثالث: رأي الأشاعرة في مفهوم الإيمان	١٢٠٥
المبحث الرابع: آثار التلازم بين الإيمان والعمل	١٢٢١
الخاتمة	١٢٣٣
المصادر والمراجع	١٢٣٨
فهرس الموضوعات	١٢٥١